

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية: الدعوة وأصول الدين

قسم: التفسير وعلوم القرآن

منهج الشيخ عبد الكريم المدرس (ت1426هـ)في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن

إعداد الطالب: أحمد بن عبد الرحمن

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:

أحمد فريد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التفسير في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

حزيران/2011

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة:

" الشيخ عبد الكريم المدرس(ت1426هـ)ومنهجه في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن"

وأجيزت بتاريخ: 2011/7/17

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور: أحمد فريد مشرفا ورئيسا	....
الأستاذ الدكتور: محمد أحمد الكردي عضوا	....
الدكتور: جهاد محمد نصيرات عضوا خارجيا (الجامعة الأردنية)	....

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى نسمة الروح الشذية إلى التي تفيض بالحنان ...

إلى أمي

إلى روح الذي بذل كل شيء لأجل تعلمي...

إلى والدي رحمه الله

﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ (الإسراء: ٢٤)

إلى أخواتي... وإخواني...

إلى بيت الكرامة والفضيلة زوجتي

إلى زينة الحياة الدنيا أولادي

إلى كل من كان له فضل علي

محبكم : أحمد

شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٥)

يا ربنا لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك, ولك الحمد على نعمك الجسيمة, وآلائك العظيمة, وعلى ما أنعمت علي به من تمام هذا الجهد وإنجازه, فلك الحمد في الأولى والآخرة ولك الحكم وإليك الرجوع.

قال تعالى﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(إبراهيم: ٧) وقال الرسول ﷺ:(لا يشكر الله من لا يشكر الناس).([1]) ؛ لذا فإنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة العلوم الإسلامية العالمية, ممثلة بكافة أعضاء هيئتها التدريسية جميعاً دون استثناء, الذين كان لهم الفضل في تحصيل العلم, جزاهم الله عنا خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى مشرفي الأستاذ الدكتور أحمد فريد أبو هزيم, الذي رعى هذا البحث, وأشرف عليه من أوله إلى آخره, وما بخل علي بوقته وتوجيهاته ونصائحه القيمة النافعة, حتى تمت هذه الرسالة, والحمد لله. فأدعو الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظه, ويطيل في عمره وأن يرزقه دوام الصحة والعافية, ويجعل هذا العمل في ميزان حسناته, إنه سميع مجيب الدعوات.

كما وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكاترة الكرام, الذين تكرموا بقبول مناقشة هذه الرسالة, وتبيين أخطائها, واستكمال نقائصها, فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وكما لا يفوتني أن أسدي جزيل شكري وتقديري إلى زوجتي التي وقفت بجانبي وقدمت لي الكثير في سبيل إنجاح هذا العمل.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير وأسمى آيات العرفان لفضيلة الدكتور عبد القادر خياطي ، والدكتور حسن الأصفر ، والمهندس أيمن زعيتر ، وأخي الفاضل الأستاذ عبد العزيز الناصري، والأستاذ عبد الله طقاطق ، وكل الإخوة في مركز البيادر القرآني.

وكما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني وشجعني على العلم والبحث, و قدم لي يد العون والمساعدة في مشواري الدراسي من قريب أو من بعيد.

([1]) ابن حنبل, أحمد أبو عبد الله الشيباني, "مسند الإمام أحمد", المحقق شعيب الأرنؤوط , ط2,(1420ه – 1999م), رقم 7938, ج6, ص322, مؤسسة الرسالة, بيروت لبنان .

فهرس المحتويات

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة:

منهج الشيخ عبد الكريم المدرس في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن

إعداد: الطالب أحمد بن عبد الرحمن

إشراف: الأستاذ الدكتور أحمد فريد أبو هزيم

تناولت هذه الدراسة منهج الشيخ عبد الكريم المدرس في تفسيره المسمى (مواهب الرحمن في تفسير القرآن), وهو مفسر عراقي معاصر, ترك لنا تفسيراً يمتاز بسهولة العبارة, والبعد عن التكلف والتعقيد, والتفسير مطبوع, ويقع في سبعة مجلدات, وكانت الدراسة وفق أصول منهجية وبحثية معروفة في مجال البحث العلمي, واعتمدت فيها على المنهج الاستقرائي والوصفي والمنهج التحليلي والنقدي, وجاءت هذه الدراسة في سبعة فصول وخاتمة, ففي الفصل الأول, قام الباحث بالتعريف بالشيخ المدرس الذي عاش بين الفترة الممتدة من (1904 – 2005م), وتعرض لحياته الشخصية والعلمية, ومؤلفاته وشيوخه, وأهم المناصب التي تقلدها , كمدرس وإمامٍ وخطيبٍ ومفتٍ.

وفي الفصل الثاني تعرض الباحث للتعريف بتفسيره, والطريقة التي سلكها فيه, و أهم المصادر التي اعتمد عليها, أما في الفصل الثالث, فقد كشف الباحث عن منهج الشيخ في التفسير المأثور , والتفسير بالرأي، وما موقفه من الإسرائيليات، وفي الفصل الرابع تعرض الباحث إلى قضايا علوم القرآن, كأسباب النزول والمكي والمدني و أرائه في قضايا إعجاز القرآن المختلفة , وفي الفصل الخامس أظهر الباحث في هذه الدراسة عناية المدرس بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وبيان،وبين منهج المدرس فيها وفي الفصل السادس بين الباحث آراء المدرس في مسائل العقيدة المختلفة من الأسماء والصفات ، والاستواء والرؤية ، وعصمة الأنبياء ، وغيرها.

كما بين الباحث في الفصل السابع وهو الأخير منهج المدرس في المسائل الفقهية والأصولية المختلفة، ثم بين القيمة العلمية لتفسير المدرس.

وفي نهاية الدراسة كانت الخاتمة, وفيها خلاصة ما توصل إليه من نتائج وأفكار , وكان أهمها محاولة تعريف الدارسين والباحثين بشخصية الشيخ عبد الكريم المدرس, وتسليط الضوء على تفسيره, وبيان منهجه, وإبراز قيمته العلمية, وهي فرصة لبيان قدر هذا المفسر ومكانته.

راجياً من المولى سبحانه وتعالى التوفيق والعون والسداد, إنه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله, وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد:

فإنّ أشرف العلوم وأعلاها منزلة تلك التي تخدم كتاب الله عز وجل، لأنّ شرف العلم من شرف المعلوم. فهو الفرقان الذي فرق الله به بين الحلال والحرام، وشرح فيه الأحكام، وكرر فيه القصص والمواعظ للإفهام، وقص فيه الأخبار فقال: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾(الأنعام/38)، والذي خاطب به أولياءه ففهموه، فجعلهم أهله وخاصته ، وأصفياءه، فهو ينبوع الحكمة ودستور الأمة, ودواء أسقامها, ومزيل تخلفها, لا اهتداء إلا باتباعه, ولا صلاح إلا بالرجوع إليه وتطبيقه.

والضلال والفساد حاصل بالإعراض عنه,كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(طه: ١٢) ،

وفهم القرآن الكريم يتوقف – بعد توفيق الله تعالى – على قريحة صافية, وذهن نير, وتعمق في أسرار البيان العربي, ودراية واسعة بالسنة المطهرة, بالإضافة إلى معارف المفسر الثقافية, وباجتماع هذه الأمور, لم يبق للمفسر إلا أن يجاهد نفسه على الإخلاص في عمله, ولزومه هدي النبي ﴿ﷺ﴾ لأنهما شرطا قبول الأعمال.

وقد اعتنى علماء الإسلام بالقرآن الكريم عناية كبيرة, منذ فجره الأول, حفظاً ودراسة وتفسيراً, وشهدت القرون المتعاقبة من عمر هذه الأمة, أئمة أعلاماً, وهبوا أنفسهم خدمة

لكتاب الله تعالى في شتى علومه المختلفة, وما المؤلفات والمصنفات التي تزخر بها المكتبات الإسلامية اليوم, إلا خير دليل على الجهود القيمة المبذولة من علماء هذه الأمة.

ويعتبر التفسير من بين العلوم التي أخذت القسط الأكثر, ونالت الحظ الأوفر من حيث التأليف, فهناك الكثير من التفاسير التي لا تعد ولا تحصى, سلك فيها أصحابها طرقا ومناهج مختلفة, كلٌّ حسب ثقافته وآرائه, فمنهم الخائض في إعجاز القرآن وبلاغته ولطائفه الإعرابية, ومنهم الباحث في قضاياه الفقهية, ومنهم المنقب في جوانبه العقدية وهكذا.

والشيخ المدرس واحد من أولئك العلماء الفضلاء, الذين خدموا كتاب الله تعالى, وأسهموا إسهاما واضحا في هذا المجال, فلقد ألف تفسيره في مدة سنتين تقريبا وهذا دلالة على تمكنه وغزارة علمه، وقد كان الفراغ من هذا التفسير كما قال المدرس: "وقد صادف الختام ضحوة يوم الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ألف وأربعمائة وأربع هجرية ، الموافق لسنة ألف وتسعمائة وخمس وثمانين ميلادية ، في بلدة بغداد التي كانت عاصمة الخلفاء والأئمة المجتهدين."[1]

ورغبة مني في التعرف على هذا العالم, والوقوف على جوانبه الشخصية, ومنهجه في التفسير, فإنني تقدمت بهذا البحث لكلية أصول الدين, هذا الصرح العلمي الطيب, الذي نلت شرف الدراسة فيه, والتتلمذ على يدي شيوخه وعلمائه, حفظهم الله ونفعنا بعلمهم آمين.

أهمية موضوع البحث: ومن أهميته:

- بروز الشيخ العلامة عبد الكريم المدرس في العصر الحديث كمفسر ومفتى ومدرس وخطيب ومؤلف في مختلف فنون المعرفة.
- لأن هذا التفسير من التفاسير المعاصرة الموسوعية ؛ يحوي فوائد كثيرة .
- لأن هذا التفسير يحوي تحقيقات نفيسة لمسائل مختلفة.

تتناول هذه الدراسة, منهج الشيخ عبد الكريم المدرس في تفسيره المسمى (مواهب الرحمن في تفسير القرآن), وفق أصول منهجية وبحثية معتمدة في مجال البحث العلمي, وستعرض الدراسة ترجمة هذا العالم, وحياته الشخصية والعلمية, ومؤلفاته وشيوخه,

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (ج584/7)

وسأحاول تبيان منهجه, والطريقة التي سلكها في تفسيره, والمصادر التي اعتمدها, كما سأحاول الكشف عن مدى جمعه بين التفسير بالمأثور والرأي في تفسيره, وكذا القضايا الفقهية والعقدية, كما سأتحدث عن مدى عنايته بعلوم القرآن, من أسباب النزول والمكي والمدني وغيرها من القضايا التي تناولها الشيخ.

وفي نهاية الدراسة تكون الخاتمة, وفيها خلاصة ما توصلت إليه من نتائج وأفكار , راجياً من المولى سبحانه وتعالى, أن يوفقني ويعينني ويسدد خطاي, إنه نعم المولى ونعم النصير.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

1- خدمة كتاب الله تبارك وتعالى, الذي تسابق لخدمته العلماء, حفظاً ومطالعة وقراءة وشرحاً وتفسيراً وتعليماً...

2- بعد البحث والتقصي, لم أتمكن من إيجاد أي دراسة تناولتْ تفسير الشيخ المدرس, مما حبَّبَ إليَّ البحث في هذا الموضوع لجدته, وهو المطلوب في البحث العلمي.

3- دراسة مناهج المفسرين, على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم, تعطي الباحث فوائد كثيرة, حيث يعرف جهودهم , ويستفيد من كتاباتهم وطرقهم وأساليبهم, التي اتبعوها في التأليف, كما يستطيع الباحث أن يحدد مكانة المفسر بين المفسرين, من خلال تفسيره.

4- الرغبة الذاتية لديَّ, بدراسة تفسير من التفاسير المعاصرة, دراسة شاملة, ومقارنتها بالتفاسير القديمة المشهورة, وتحقيق الفائدة المرجوة من الطريقة التي سار عليها المفسر..

5- التقائي شخصياً بالعلامة المدرس حين إقامتي بالعراق(سنة 2001-2002) فكنت أتردد كثيراً على مجلسه ؛ فعرفته عن قرب وأعجبت به .

لهذه الأسباب وغيرها, اخترت منهج الشيخ عبد الكريم المدرس , موضوعاً للدراسة.

مشكلة الدراسة: تعريف الدارسين والباحثين بشخصية الشيخ عبد الكريم المدرس , والوقوف على جوانب شخصيته العلمية, وتسليط الضوء على تفسيره, وبيان منهجه, وإبراز قيمته العلمية, وهي فرصة لبيان قدر ومكانة هذا المفسر.

والشيخ المدرس مفسر معاصر, ترك لنا هذا التفسير, الذي يمتاز بسهولة العبارة, والبعد عن التكلف والتعقيد, والتفسير مطبوع, يقع في سبع مجلدات, وقد قرأت فيه, ووجدت فيه مادة تمتاز بالغزارة العلمية والثراء , ولذا فإني رأيت أن أقوم بدراسة هذا التفسير, أكشف من خلالها عن منهج الشيخ المدرس فيه, وفق منهجية البحث المعروفة.

وستجيب هذه الدراسة على عدة أسئلة منها: من هو الشيخ المدرس؟ وما هو منهجه في تفسيره؟ وما مصادره التي اعتمد عليها؟ وما هي القيمة العلمية لهذا التفسير؟ وما هي المحاور التي يدور عليها منهجه في التفسير؟

وستعالج هذه الدراسة منهج الشيخ المدرس في تفسيره, وفق أصول منهجية وبحثية معتمدة في مجال البحث العلمي, وقد جاء هذا التفسير بلغة العصر, وكان أسلوبه من السهل الممتنع.

خطة البحث:

الفصل الأول: التعريف بعبد الكريم المدرس

المبحث الأول: حياة الشيخ عبد الكريم المدرس

المبحث الثاني: عبد الكريم المدرس ومنزلته العلمية

الفصل الثاني: المدخل إلى تفسير المدرس

المبحث الأول: التعريف بكتاب مواهب الرحمن في تفسير القرآن

المبحث الثاني: مصادر الشيخ عبد الكريم المدرس في التفسير

الفصل الثالث: منهج المدرس في التفسير وموقفه من الإسرائيليات.

المبحث الأول : منهج المدرس في التفسير المأثور :

وأخيرا فهذا بحثي المتواضع، بذلت فيه منتهى الجهد، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك. فإن أصبت فذلك ما أرجو ، ومن الله التوفيق والسداد، وإلاّ فللمجتهد إن أخطأ نصيبه، وأرجو أن لا يفوتني ذلك.

أدعو الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه، وأن يجعله في عداد حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يوفقني لخدمة كتابه، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وأسأل الله الذي تجلت قدرته وتقدست أسماؤه ، أن يجزي أستاذي وصاحب الفضل علي؛ فضيلة الدكتور أحمد فريد، خير الجزاء على ما قدمه وبذله من مجهود معي ، فما كان لهذا البحث أن يخرج بهذا الشكل ، لولا توجيهاته ونصائحه القيمة التي كان يسديها إلي، فله مني أسمى معاني التقدير والاحترام ، أسأل الله بمنه وكرمه أن يبارك في علمه ، ويمد في عمره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أحمد بن عبد الرحمن

الفصل الأول

التعريف بعبد الكريم المدرس

ويضم المباحث التالية :

المبحث الأول: حياة الشيخ عبد الكريم المدرس .

المبحث الثاني: عبد الكريم المدرس ومنزلته العلمية

المبحث الأول: حياة الشيخ عبد الكريم المدرس

ويضم المطالب التالية :

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه

المطلب الثاني:ولادته ونشأته وطلبه للعلم

المطلب الثالث: شيوخه

المطلب الرابع: رحلاته لطلب العلم

المطلب الخامس : الوظائف والأعمال

المطلب السادس: تلاميذه

المطلب السابع : وفاته

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه

هو عبد الكريم بن محمد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد من عشيرة (هوز قاضي) القاطنين في الوقت الحاضر في مركز ناحية السيد صادق وفي قرية (مايندول)[1]على عين(سه راوسوبحان آغا)[2]،وفي قرى أخرى مجاورة لها.[3]

ويعرف الشيخ عبد الكريم ب : بيارة والمدرس.

وبيارة: نسبة إلى منطقة بمحافظة السليمانية شمال العراق، كان الشيخ عبد الكريم طالباً و مدرساً بمدارسها.

والمدرس: لقبه ، وقد جاءه اللقب من اختصاصه في تدريس العلوم الدينية.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته وطلبه للعلم:

ولد المدرس في قرية (تكية) على مقربة من مركز ناحية (خورمال)[4]،في شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وعشرين هجرية ، ألف وتسعمائة وأربع ميلادية، والده هو محمد بن فتاح كان محباً للعلماء ، تخلق بالعلم، وتلمذ لعلماء كثيرين في شمال العراق.

ويقول الشيخ المدرس محدثاً عن نفسه :"ولما تميزت بدأت بالدراسة ، وختمت القرآن الكريم ، وبعض الكتب الصغار الدينية ، وتوفى والدي وأنا في هذه الحالة، فوفقني ربي وأعانني بفضله ، وسعت والدتي غفر الله لها مع أعمامي وأقاربي في دوام دراستي،

---

(1) قرية في شمال العراق. انظر المدرس، عبد الكريم "علماؤنا في خدمة العلم والدين"، دار الحرية للطباعة ــ بغداد ــ الطبعة الأولى:1403هــ ــ 1983م،(324/1)

(2) مدينة من مدن شمال العراق.المصدر السابق(324/1وما بعدها)

(3)انظر المصدر السابق(324/1وما بعدها)

(4) مدينة من مدن شمال العراق ،و التكية هي مكان مخصص للعلم والذكر ، كما يسمى :الزاوية.انظر: http://www.kasnazan.com/print.php?id=474

فاستقمت على الدراسة حتى بدأت في أول محرم ألف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين بدراسة التصريف للزنجاني[1] في علم الصرف.

فتجولت في المدارس وترقيت ، ووقعت تحت رعاية أحد العلماء من أصدقاء والدي، فقرأت عنده المقدمات النحوية والصرفية حتى مبحث التمييز من كتاب شرح الجامي[2]."[3]

واستمر الشيخ في تحصيل العلوم في منطقة السليمانية[4] وغيرها من مدن شمال العراق ، فدرس العلوم العربية، والبلاغة، والمنطق وآداب البحث ، والتشريح في الفلكيات ،والفقه،والعقائد، والحساب والهندسة، وأصول الدين، وأصول الفقه وغيرها من العلوم.[5]

المطلب الثالث: شيوخه:تحدث المدرس في كتابه "علماؤنا في خدمة العلم والدين " – وهو كتاب في الترجمة– عن طائفة من العلماء الذين أخذ عنهم العلم ، فذكر منهم:

1- الشيـخ علاء الـدين[6] بن عمر ضيـاء الدين بن عثـمان سراج الـدين

وقرأ عليـه النحو والمنطق ، وآداب البحث، والتشريح في الفـلكيات، والفقه.[7]

---

[1] هو إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (عز الدين) فقيه، صرفي، له شرح على الوجيز، مختصر من شرح الرافعي سماه نقاوة العزيز في فروع الشافعية.انظر عمر رضا كحالة "معجم المؤلفين"، الناشر : مكتبة المثنى – بيروت , دار إحياء التراث العربي(57/1)

[2] الجامي(817 – 898 هـ = 1414 – 1492 م)عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، نور الدين: مفسر، فاضل. ولد في جام (من بلاد ما وراء النهر) وانتقل إلى هراة. وتفقه، وصحب مشايخ الصوفية، وحج سنة 877 هـ فطاف البلاد، وعاد إلى هراة فتوفي بها. له تفسير القرآن ، و شرح فصوص الحكم لابن عربي ،و شرح الكافية لابن الحاجب ، وهو أحسن شروحها، سماه الفوائد الضيائية، و الدرر الفاخرة في التصوف ، وغير ذلك. انظر:الزركلي، خير الدين: "الأعلام" ،الناشر : دار العلم للملايين،الطبعة : الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، (296/3)

[3]انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين ، مرجع سابق(324/1وما بعدها)بتصرف

[4] السليمانية من أكبر محافظات شمال العراق .

[5] انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين ، مرجع سابق(324/1وما بعدها) بتصرف

[6] هو الشيخ علاء الدين بن الشيخ عمر ضياء الدين بن الشيخ عثمان سراج الدين الطويلي ، ولد في قرية (طويلة) في محافظة السليمانية سنة 1285هـ ، وقد حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، ودرس العلوم الدينية والعربية نال الإجازة في الإرشاد وخدمة الإسلام والمسلمين ، وكانت له يد واسعة في الجود والعطاء.

[7] انظر علماؤنا في خدمة العلم والدين ، مرجع سابق(325/1)

2-الشيخ الملا محمد سعيد العبيدي[1] ، بدأ عنده ببرهان الكلنبوي في المنطق.[2]

3- الملا أحمد ره ش [3]،ختم عنده شرح العقائد ، وقرأ منظومة المولوي[4] باللغة الكردية في العقائد ، وبدا بكتاب مختصر المطول في البلاغة.

4- عمر القره داغي [5]، قرأ عنده أقصى الأماني [6] في البلاغة ، والفريدة[7] في النحو، والبرهان في المنطق، والتشريح مع حو اشيه للعاملي ، ورسالة الحساب ، وكتاب أشكال التأسيس في الهندسة [8]، وكتاب تقريب المرام شرح تهذيب الك ــلام في أصول الدين ، وجمع الجوامع في أصول الفقه[9] ، والإسطرلاب، والربع المجيب[10] ، والحكمة، والمنهج في الفقه[11].

---

[1] هو الملا محمد سعيد ابن احمد بن فتاح ، ولد حوالي سنة ألف وثلاثمائة هجرية ، وبعد التميز شرع في القراءة، فحفظ القرآن الكريم ،وبعض الكتب الأدبية والعلوم العربية وتجول في مدارس عدة في حلبجة وأطرافها، ولما كبر سافر إلى كركوك ، فدرس الرياضيات، ثم عاد إلى ، ودخل مدرسة بيارة . وأقام فيها حتى نال الإجازة . انظر ترجمته في: علمائنا في خدمة العلم والدين/550

[2] الكلنبوي(000 - 1205 هـ = 000 - 1791 م) إسماعيل بن مصطفى بن محمود، أبو الفتح الكلنبوي الرومي، ويعرف بشيخ زاده: قاض حنفي عثماني. اشتهر بالرياضيات والمنطق. نسبته إلى بلدة (كلنبة) من ولاية (آيدين) ووفاته في تسالية (من يني شهر) وكان قاضيا فيها. له تصانيف، منها:دقائق البيان في قبلة البلدان ، في فقه الحنفية، و البرهان رسالة في المنطق، و حاشية على البرهان ، أنظر:الزركلي، خير الدين: "الأعلام "(مصدر سابق)(327/1)

[3]هو العالم الفاضل المشهور بالملا ر ه ش ولد سنة 1313هـ ،تدرج في المراتب العلمية ، وكان حافظاً للمتون ، واجتهد في التدريس سنيناً طويلة . وتوفي سنة 1373هـ . انظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين /86

[4]المولوي (1222 - 000 ه) (1808 - 000 م) هو:عبد الرحيم الحسيني، الشهير بالمولوي.صوفي، أديب، شاعر. ولد في بلاد الأكراد وتوفي في أوائل القرن الرابع الهجري.له العقيدة المرضية.انظر عمر رضا كحالة "معجم المؤلفين" (مصدر سابق)(204/5)

[5] هو العلامة الشيخ عمر بن عبد اللطيف الكبير بن الشيخ معروف ، حفظ القرآن الكريم والكتب الصغار ، وأخذ العلوم العقلية ، أخذ الإجازة عن والده ، وأخذ يدرس الطالبين ويعلمهم وأجاد في التعليم وأفاد . أنظر : علماؤنا في خدمة العلم والدين./408

[6] كتاب أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني - زكريا الأنصاري.

[7] وهي ألفية السيوطي في النحو .

[8]كتاب أشكال التأسيس في الهندسة لشمس الدين بن اشرف السمرقندي.

[9]كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه ، المؤلف: تاج الدين السبكي

[10] وهي رسالة في علم الفلك للكلنبوي.

[11] كتاب المنهج في الفقه - لابن خفيف الشيرازي

وقد شرّفه الشيخ عمر القره داغي بالإجازة العلمية، في محفل كبير ، حضره كبار العلماء وذلك سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين هجرية .[1]

المطلب الرابع : رحلاته لطلب العلم:

لم تذكر المصادر التي ترجمت للمدرس أنه سافر خارج منطقة كردستان العراق لطلب العلم،وهذا يدل على أن ترحاله وتجواله لطلب العلم بقي في شمال العراق، من قرية (مايندول) في مركز ناحية السيد صادق، إلى مساجد السليمانية، ثم إلى مدرسة خانقاه بمنطقة (هه ورامان) ، ثم إلى بيارة ، ومن ثم إلى كركوك ، ثم إلى بغداد ، وبقي فيها مدرساً إلى أن وافته المنية [2].

والواقع أنه لما كانت البيئة التي عاش فيها المدرس حافلة بالعلم والعلماء الذين برعوا في شتى فنون العلم ، أغنته عن طلب العلم خارج هذه البيئة ؛ والمتأمل في كتاب المدرس"علماؤنا في خدمة العلم والدين" الذي ترجم فيه لعلماء بيئته يدرك هذا.

المطلب الخامس: الوظائف والأعمال:

إذا استعرضنا حياة المدرس نجد أن أعماله تتلخص فيما يلي:

1- التدريس في المساجد منذ شبابه حتى الممات.

2- اختير رئيساً لرابطة العلماء في العراق.

3- اختير مفتياً للعراق.

4- اختير عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي عام 1979م .

5- كان عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

6- كان عضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني عام 1980م.

---

[1] انظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين (326/1) مرجع سابق

[2] المصدر السابق، (324/1، وما بعدها)

7- شارك في كثير من المؤتمرات الدينية .

8- إصدار الفتاوى النافعة .[1]

المطلب السادس: تلاميذه:

خرّج المدرس كثيراً من العلماء، وتتلمذ على يديه طلاب لا يحصون عدداً؛ فقد كان التدريس شغله الشاغل.

فحين كان مقيماً في شمال العراق بدأ مشواره في التدريس من قرية(نركسه جار)قرب حلبجه[2]،اجتمع عنده الطلاب ، واتسعت دائرة الإفادة للطالبين ، وفي سنة ألف وثلاثمائة وسبع وأربعين عين مدرساً لمدرسة خانقاه [3] بيارة ، فاستفاد منه الطلاب، إذ اجتمع حوله ما يقارب مائة طالب يشتغلون بجد في تحصيل العلوم ليل نهار، وبقي مدرساً بها إلى سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وسبعين ، ودرّس الطلاب الكثيرين في تكية الحاج جميل الطالباني[4] بمنطقة كركوك.

وحين استقر ببغداد عين مدرساً لمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وأخذ عنه العلوم المختلفة عدد كثير من الطلاب ، ومن بلاد كثيرة ، من(جاوه) و(تركيا) و(المغرب) و(الجزائر)، ومن نفس العراق عربها وأكرادها .[5]

ونذكر ممن تتلمذوا له ،على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

---

[1] انظر : علماؤنا في خدمة العلم والدين (326/1وما بعدها)، وانظر أيضاً مقالاً كتبه الأستاذ: أنور أحمد العاني على الموقع الإلكتروني:
http://www.ra7maa.com/vb/showthread.php?t=9778 (بتصرف)

[2] بلدة في شمال العراق.
[3] وتعني المدرسة باللغة الكردية .
[4] الشيخ جميل الطالباني من أشراف الأكراد في كركوك وهم بالأصل من قضاء كفري قدموا إلى مدينة كركوك قبل حوالي 200 سنة. كان يجل الشيخ المدرس حين كان يدرس بمدرسته ، أنظر علماؤنا في خدمة العم والدين(328/1)
[5] انظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين (326/1 وما بعدها)

- علي جميل الطالباني.[1]

- عبد الرحمن جميل الطالباني.[2]

- عفيف الدين الكيلاني.[3]

- هاشم جميل.[4]

- علي محي الدين القره داغي.[5]

---

[1] ابن الشيخ جميل الطالباني الذي سبقت ترجمته في هذه الصفحة ، أنظر علماؤنا في خدمة العم والدين(328/1) وانظر موقع :http://www.alturkmani.com/makalaat/mindafater3.htm .

[2]أخو علي جميل الطالباني المذكور في الترجمة السابقة .، انظر: أنظر علماؤنا في خدمة العم والدين (328/1)وانظر موقع :http://www.alturkmani.com/makalaat/mindafater3.htm .

[3] عفيف الدين الكيلاني من مواليد العراق، بغداد – داعية إسلامي عراقي حفيد الشيخ السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب شيخ (الطريقة القادرية) درس في جامعة بغداد ودرس العلوم الشرعية على يد العديد من المشايخ منهم العلامة عبد الكريم محمد المدرس – مفتي الديار العراقية –ومحمد رمضان عبد الله واحمد عمر هاشم العالم الأزهري والعلامة عبد الملك السعدي والدكتور احمد الكبيسي والشيخ رافع الرفاعي – مفتي الديار العراقية الحالي والمؤرخ الكبير الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وعفيف الدين الجيلاني تنسب إليه العديد من البحوث والدراسات المنشورة على النت وباللغتين الإنكليزية والعربية وهو مدير موقع (دار الجيلاني العالمية) باللغة الإنكليزية الذي يهتم بالدراسات الإسلامية والصوفية والقادرية وله حضور واسع في العديد من الندوات . من موقع:http://ar.wikipedia.org بتصرف.

[4] هو الشيخ العلامة الأستاذ الدكتور " هاشم جميل عبد الله " العراقي القيسي الجباوي –نسبة إلى جبة قرية غربي الرمادي ؛ لأنه ترعرع فيها ؛ الفلوجيٌّ ؛ لأنه ولد فيها . ولد سنة (1940 م) وبدأ بتعلم القرآن على طريقة الكتاتيب منذ نعومة أظفاره ، درس العلوم الشرعية على يد أكابر علماء العراق في ذلك الحين ومنهم الشيخ أمجد الزهاوي وعبد الكريم المدرس وعبد القادر الفضلي وغيرهم . حاز على الأستاذية في الفقه المقارن منذ وقت مبكر . وشغل عدداً كبيراً من المناصب الإدارية العلمية في كثير من الجامعات العراقية والخليجية . وكتابه " فقه الإمام سعيد " يدرس في مرحلة الدكتوراه وكتابه الآخر " مسائل من الفقه المقارن " في مجلدين يدرس في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ، وله أبحاث أخرى طبعت قديماً في المجلة الإسلامية .وغيرها ، مع بعض البحوث التي طبعت له الآن في دبي.من موقع : ملتقى أهل الحديث ، منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين، بتصرف .

[5] ولد الشيخ علي محي الدين في تموز / يوليو من عام 1949م بمنطقة القره داغ ، محافظة السليمانية ، وكردستان العراق. نشأ القره داغي في بيئة هادئة ، فكان والده الشيخ محيى الدين رحمه الله متديناً واقفاً بقوة مع الحق والجهاد . اهتم بالعلم من صغره ، نال شهادة الإجازة العلمية في العلوم الإسلامية على أيدي المشايخ عام 1970 م.
بكالوريوس في الشريعة الإسلامية ببغداد عام 1975م بتقدير امتياز ، والأول على دفعته . ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف عام1980 م بتقدير امتياز. دكتوراه في

- عبد القادر العاني.[1]

وغيرهم من الأساتذة ، وقد قال المدرس:"كنت موفقاً على تخرج عدد من الطلاب ، إذا عددناهم إلى الآن تجاوز العدد خمسين عالماً مناسباً " [2]، وكان هذا الكلام في بداية الثمانينات ، عند تأليفه لكتابه علماؤنا في خدمة العلم والدين، وهو رحمه الله لم ينقطع عن التدريس إلا في السنوات الأخيرة من حياته رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

والمدرس رحمه الله كان متمكنا في جل العلوم الشرعية واللغوية ،فكانت حلقاته متنوعة ،في الفقه والأصول والعقيدة والمنطق والنحو والبلاغة وغيرها واستفاد طلابه هذه العلوم المتنوعة.[3]

المطلب السابع : وفاته :

انتقل إلى دار البقاء رحمه الله تعالى، في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة وستة وعشرين للهجرة ، المصادف التاسع والعشرين من شهر آب لعام

=الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف في مجال العقود والمعاملات المالية ، عام 1985م بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف من مؤلفاته : الغاية القصوى في دراسة الفتوى ، للقاضي البيضاوي ، تحقيق ودراسة وتعليق ، طبع في مصر عام 1980م.الوسيط للغزالي ،تحقيق ودراسة وتعليق ، طبع بمصر عام 1980، ثمّ في دولة قطر عام1992م . مبدأ الرضا في العقود ، دراسة مقارنة في الشريعة والقانون المدني ، من موقع: http://www.ahlalhdeeth.com، بتصرف.

[1] العلامة، المحقق، فضيلة الشيخ الدكتور الفقيه عبد القادر بن عبد الله بن خلف العاني الحسينيّ الشافعيّ.. الهيتيّ مولدًا (نسبة إلى هيت من أعمال عانة في غرب العراق) الأردنيّ وفاةً، الشافعيّ مذهبًا، الحسينيّ نسبًا.ولد في مدينة هيت عام 1945م، ولما بلغ عهد الصبا قرأ القرآن الكريم ودخل المدرسة الابتدائية هناك في عام 1962م.التحق بالمدرسة الآصفية في الفلوجة ودرس على شيخها الجليل المرحوم العلامة عبد العزيز بن سالم السامرائي قسما من العلوم العربية والإسلامية، ثم انتقل إلى مدرسة منورة خاتون في الرمادي عام 1965م ودرس عند شيخها العلامة عبد الملك السعدي، وفي عام 1967م انتقل إلى مدرسة الحضرة القادرية ببغداد، ودرس عند شيخها علامة العراق، وشيخها الأكبر عبد الكريم محمد المدرس، كما درس عند غيره من العلماء من أمثال عبد الكريم الدبان وعبد العزيز البدري.من أهمّ أعماله مشاركته في الموسوعة الكويتيّة الفقهيّة، بالإضافة إلى تحقيق كتاب البحر المحيط لابن بهادر الزركشيّ، ورسالته للدكتوراه: (العوض في المتلفات الماليّة).استمرّ في التعليم في جامعات العراق، حتّى احتُلّت العراق، كما عمل أمينًا عامًّا لمجلس الإفتاء العراقي، . استقرّ الشيخ أخيرًا في الأردن عام 2006 م، وكانت أوقاته في الأردن مليئة بالإفادة، فدرس في العقيدة والفقه والأصول، وأقرأ المطولات في هذه العلوم وتزاحمت عليه الطلبة. وكان في آخر أيّامه أستاذًا في الدراسات العليا في الجامعة الإسلاميّة العالمية في الأردنّ.وتوفي بعمان بتاريخ 24أكتوبر2009م، من موقع وكيديا -بتصرف-

[2] انظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين (329/1)

[3] انظر: المصدر السابق(329/1)

ألفين وخمسة ميلادية ، عن عمر يناهز المائة عامٍ ، وما لبث نبأ وفاته يسري حتى نعته جوامع العراق ، ومساجده ، ومصلياته، ومآذنه وقبابه، وكان وداعه إلى مثواه الأخير في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني، وقد تناقلت وسائل الإعلام المختلفة نبأ وفاته، ونشر العديد من المواقع الإلكترونية جانباً من سيرته .[1]

[1] المصدر :الموقع الإلكتروني: http://ar.wikipedia.org (بتصرف).

المبحث الثاني:

الشيخ عبد الكريم المدرس ومنزلته العلمية:

ويتضمن ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المدرس عند أهل العلم

المطلب الثاني: المدرس يتحدث عن نفسه

المطلب الثالث : بعض مؤلفات الشيخ المدرس :

المطلب الأول : المدرس عند أهل العلم

يعد الشيخ عبد الكريم المدرس حلقة متميزة من سلسلة العلماء الكرد في بغداد حيث سبقه المفتي الزهاوي[1], وكانوا موضع ثقة المسلمين , فبفقد هذا العالم الجليل فقد المسلمون علماً بارزاً من أعلام الإصلاح الاجتماعي والآداب, كما فقد الكرد رمزاً كبيراً وشيخاً جليلاً قضى حياته كلها في خدمة الدين والوطن والإنسانية.

قال عن المدرس الأستاذ إبراهيم باجلان [2] في مقال نشرته جريدة الاتحاد بعنوان الشيخ عبد الكريم المدرس غواص بحر العلم والأدب : "علم بارز من أعلام الكرد تتباهى الأمم الراقية بأمثاله وتفخر ، وواحد من علماء الدين الأفاضل كرس حياته لخدمة الفقه والعلم والأدب ونشر الأبحاث والتحقيقات الموثقة عن الشعراء والأدباء الكرد وتحقيق نتاجا تهم ، تخليدا لذكراهم وحفظ آثارهم من الضياع والنسيان "[3]

---

[1] ولد الشيخ أمجد بن محمد سعيد الزهاوي سنة 1883م ونشأ في أسرة علمية ذات مكانة دينية واجتماعية مرموقة في محلة جديد حسن باشا في دار ملاصقة لجامع السراي (القشلة) وكان لجده رحمه الله مجلس يتردد عليه العلماء والوجهاء وكثيراً ما كان الشيخ أمجد يدخل المجلس وهو صبي، ويعد الشيخ أمجد من العلماء المرموقين في العراق والعالم الإسلامي وقد نهل من منابع العلم وتلقاه على أيدي أعلامه وجهابذته، ساعده في ذلك ذكاؤه الحاد فقد كان سريع الحفظ وقوي الذاكرة يتذكر أرقام الصفحات والمواضيع والأسماء التي يستشهد بمضامينها وساعدته البيئة العلمية التي نشأ فيها فهو ابن مفتي العراق وحفيد المفتي، وفتح عينيه على ديوان جده محمد فيضي الزهاوي الذي كان يغص بالعلماء وطلاب العلم، وكذلك حال مجلس أبيه.وعين رئيساً لمجلس التمييز الشرعي حتى أحيل إلى التقاعد، وقام الشيخ أمجد رحمه الله بجمع التبرعات من أجل الجزائر التي كانت تخوض حرباً شرسة ضد الاستعمار والاحتلال الفرنسي، وكان الشيخ رحمه الله يركز في خطبه على الدعوة ووحدة الصف وعلى البذل والعطاء والسخاء والإنفاق في سبيل الله تعالى،وكان عفيفاً ورعاً رقيقاً في نصحه ووعظه، شديداً في الحق، ناصحاً ومرشداً ومفكراً ومذكراً ومنذر. من موسوعة البحوث والمقالات ، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة ص1

[2] هو إبراهيم محمد أمين كريم إسماعيل باجلان، ولد في شهر تشرين الأول عام 1944في قرية (آواي گورا) في منطقة (بنكوره) التابعة لناحية (قوره تو) في قضاء خانقين في كوردستان العراق ، كاتب وصحفي سخر يراعه في خدمة الثقافة والأدب والصحافة الكوردستانية والعراقية طيلة أكثر من أربعين عاما، كابد خلالها العديد من الصعوبات من ترحيل ومطاردة وسجن ولكنه قاوم كل ذلك بإرادة لا تلين وعزم ومثابرة كانت خلاصتها رصيدا كبيرا من المقالات والبحوث والكتب المطبوعة وأخرى تنتظر الطبع...من الموقع الإلكتروني:http://www.shafaaq.com ،بتصرف

[3]جريدة الإتحاد، موقعها الإلكتروني: http://www.alitthad.com/paper.php?name

وقال عنه الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهداني [1] :"عاش الفقيد الراحل حياة طويلة مليئة بالثمار اليانعة من المؤلفات القيمة باللغات الكردية والعربية والفارسية، وكان مجلسه وديوانه العامر في جامع حضرة الشيخ عبد القادر الگيلاني تعمّه صباحاً ومساءً الجنسيات المختلفة من طلاب العلم المسلمين إضافة إلى زواره المختلفين فمنهم الزائر ومنهم الحائر ومنهم السائل فيصغي لاستفساراتهم الشرعية لإصدار الفتاوى كونه مرجعاً فقهياً معتمدا ومتولي منصب الإفتاء ورئيس رابطة علماء الدين في العراق ، وكان يستغل وقت الفراغ في التفرغ لكتاباته ومؤلفاته الدينية والأدبية، ومن أهمها تفسير القرآن. [2]

ولمكانة هذا الرجل عند العلماء فقد أقامت هيئة علماء المسلمين (المقر العام) في بغداد تجمعاً بمناسبة رحيل مفتي العراق فضيلة الشيخ العلامة محمد عبد الكريم بيارة المدرس ، وتكلم في المناسبة علماء ودكاترة كثيرون ، منهم الشيخ الدكتور حارث سليمان الضاري[3] الأمين العام لهيئة علماء المسلمين ، ذكر مقتطفات من سيرة المدرس فقال :

"لقد قدم الشيخ عبد الكريم يرحمه الله الكثير لهذا البلد إذ طلب العلم منذ نعومة أظفاره

---

[1] أكرم عبدالرزاق جاسم المشهداني، مواليد 1948 بغداد، العراق. من الرعيل الثالث من علماء الاجتماع العراقيين، بعد جيل الوردي وجيل قيس النوري. حصل على بكالوريوس (ليسانس) قانون من كلية القانون والسياسة، الجامعة المستنصرية بغداد 1971. و بكالوريوس (ليسانس) لغة انكليزية من كلية الآداب الجامعة المستنصرية بغداد 1978، و بكالوريوس (ليسانس) إعلام/ صحافة من كلية الآداب جامعة بغداد 1990. نال ماجستير فلسفة Mphil في السياسة الأجتماعية Social Policy سياسات منع الجريمة من مدرسة السياسات في جامعة كرانفيلد Cranfield بالمملكة المتحدة 1986–1989 أستاذ مشارك مع خبرة في البحث العلمي والتدريس من عام 1978 ولحد الآن. مدير مركز البحوث والدراسات (خاص بالدراسات القانونية والاجتماعية) بغداد من 1990 لغاية 2000. محاضر في العلوم الجنائية لدى كلية الشرطة من عام 1976 و في المعهد العالي لضباط الشرطة ببغداد من عام 1980. رئيس تحرير عدد من المطبوعات القانونية والجنائية، محاضر غير متفرغ بدرجة أستاذ مشارك في كلية الحقوق جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن للعام الدراسي 2003–من الموقع الإلكتروني: .htmlhttp://www.ejtemay.com

[2] المصدر:مقال نشر على الموقع الإلكتروني: http://hammdann.com/index.

[3] هو:حارث سليمان الضاري، يقول هو عن نفسه : ولدت بمنطقة في أبو غريب في ضواحي بغداد سنة 1941م، ولما ميّزت ذهبت إلى مدرسة تحفيظ للقرآن، وتعلمت فيها، والتحقت بعد ذلك بالمدرسة الدينية التي أكملت فيها الدراسة الأولية، وأخذت منها الشهادة الثانوية، ثم التحقت بجامعة الأزهر سنة 1963م، حيث حصلت على شهادة =الليسانس العالية بكلية أصول الدين والحديث والتفسير، ثم دخلت الدراسات العليا وحصلت على شهادة الماجستير في التفسير سنة 1969م، وبعدها سجلت في شعبة الحديث، فأخذت منها أيضاً شهادة الماجستير سنة 1971م، وبعد ذلك سجلت رسالة الدكتوراه في الحديث، وحصلت عليها سنة 1978م، وبعدها عدت إلى العراق وعملت في الأوقاف، ثم بعد ذلك نُقلت إلى جامعة بغداد بوظيفة معيد، فمدرس، فأستاذ مساعد، فأستاذ. قضيت في التعليم الجامعي أكثر من 32 عاماً، وأنا الآن متقاعد بعد عملي في عدة جامعات عربية، كجامعة اليرموك في الأردن، وجامعة عجمان في الإمارات المتحدة، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي أيضاً بالإمارات العربية، وقد عدت إلى العراق ــ بعد احتلاله ــ في 2003/7/1م. من موقع الموسوعة الحرة –بتصرف–

وأخذ من العلم ما اخذ وسار على نهج العلماء في إبلاغ ما تحمل من علم وفقه ومعرفة، وقضى جل عمره الكريم في التدريس والوعظ والإفتاء وانقطع عن الدنيا إلا من عمل الخير. لقد رحل عنا ولم يخلف من بعده مثله في كثير من صفاته التي عرفناها عنه فكان متواضعا وكان غير منشغل بالدنيا وشاهد ذلك أنه آثر البقاء في جامع الإمام الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله منقطعاً عن الكثير من الأهل والأحباب إلا من طلابه وأحبابه الذين قصدوه إلى هذا المسجد" .

وأضاف الشيخ الضاري في وصف فقيد العراق والأمة: "ولم يكن ممن يحب الظهور الذي تهواه الكثير من النفوس كما لم يكن يميل إلى التقرب من الحكام. رحم الله الشيخ عبد الكريم المدرس"[1].

وهذا الذي ذكره الضاري من تواضع المدرس لا يتناقض مع ما نقلته عن المدرس من كتابه "علماؤنا في خدمة العلم والدين " حين ترجم لنفسه فذكر بعض منن الله عليه ؛ فهذا من باب التحدث بالنعمة.

أما الدكتور عدنان الدليمي[2] المتحدث الرسمي باسم المؤتمر العام لأهل العراق فقد قال في حقه: " لقد كان رحمه الله مخلصا للعلم ولم يكن من أهل الدنيا ولا من طلابها قضى عمره في الكتابة والتأليف وكان عضوا في المجمع العلمي رحمه الله ونسأل الله له الجنة

---

[1] المصدر: http://www.basaernews.com/news.php?id=1092

[2] الدكتورعدنان محمد سلمان الدليمي سياسي عراقي، ولد في الأنبار عام 1932م، وعمل في التدريس لمدة خمسين عاماً، قضى نصفها في كلية الآداب بجامعة بغداد. وهو عضو في البرلمان العراقي وكان رئيساً لكتلة (جبهة التوافق العراقية) فيه، وينفرد من بين السياسيين العراقيين بزيّه الذي يبدو غريباً أو مندثراً في هذه الايام، فهو يعتمر على رأسه غطاء كان شائعاً بين الشخصيات البغدادية قبل منتصف القرن الماضي يسمى (السدارة) هو أقرب إلى القبعة العسكرية. حصل على شهادة الماجستير عام 1965م، من كلية الآداب في جامعة القاهرة، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية في عام 1969. انتمى إلى حركة الإخوان المسلمين منذ كان عمرهُ ثمانية عشر عاماً، وكان اهتمامه منصباً للدعوة والإرشاد وسافر = =من أجلها إلى جميع محافظات العراق، ولخارج العراق أيضاً. عمل مع الشيخ محمد محمود الصواف والشيخ أمجد الزهاوي في التصدي للمد الشيوعي في العراق بالكلمة الطيبة والنصح والدعوة إلى الإسلام. عمل في التدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة، في فترة الستينيات ولمدة ثلاث سنوات. وغادر العراق عام 1994م إلى الأردن، حيث عمل في جامعة الزرقاء الأهلية عميداً لكليتي الآداب والشريعة وكان أستاذا للدراسات العليا فيها. وعاد للعراق بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م، ليساهم في الدعوة والإرشاد والعمل السياسي، وهو نائب في البرلمان العراقي وكان يشغل منصب رئيس جبهة التوافق العراقية التي تحتل 44 مقعداً من مقاعد مجلس النواب العراقي، الترجمة – بتصرف–من الموقع الإلكتروني : وكيديا.http://ar.wikipedia.org/wiki

وعوضنا الله بعلماء مثله".[1]

وقال الدكتور زياد العاني[2] رئيس الجامعة الإسلامية في حقه: " لقد تميز الشيخ عبد الكريم بورعه وتقواه ومحبته للمسلمين. فقد فقدناه ونحن بحاجة إليه في الأمة الإسلامية عموما وفي العراق خصوصا".[3]

وقال تلميذه الأستاذ قاسم الحنفي في حقه: "كان صفحة جمعت سيرة من أدركهم من العلماء الأكراد والعرب، كان صفحة بيضاء جمعت كريم أخلاقهم وفضائلهم، فموته قد طوى هذه الصفحة، وأقول ولست مبالغاً: إن حياته كانت زاداً روحياً وعلمياً وثروة عظيمة لا تثمن ولا تعوض وكان يقول عن نفسه: إذا مت فستموت معي علوم كثيرة "إلى أن يقول "إن فضائله لا تستقصى ومزاياه لا تحصى ، لكني سأذكر ما عزّ من أخلاقه وندر من فضائله وأجملها في ثلاث خلال:

أما الخلق الأول فاستقامته على الطاعة، وأعظم بها من كرامة وأي كرامة، كان كثير الذكر لا يفتر عن ذكر لفظ الجلالة، ولا يمل من ذكر لا اله الا الله بصوته الخفي، وفي بعض الأحايين يرفع صوته قليلاً بلفظ الجلالة فأشعر بأن الغرفة المباركة ترتج، وأرى العين تذرف دموعها، والأعناق تهتز شوقاً إلى لقاء بارئها، اجل كان من الذاكرين الله كثيراً، مشغولاً بالتدريس والتأليف وتهذيب النفوس وترويضها على العبادة، وكنت استنصحه فيقول لي:إما إخلاص وإما إفلاس .

وأما الخلق الثاني فزهده النادر، فقد كان متجرداً عن الدنيا، بعيداً عن كل مواطن الظهور، متواضعاً خرج من هذه الدار الفانية وليس عنده دارٌ يملكها، ولا دابة، بل ترك وراءه مكتبة كبيرة أوقفها للمكتبة القادرية وكفناً اشتراه في أثناء حجه وقد غسلته وكفنته به، واهدت له الحكومة السابقة سيارة حديثة ومالاً عظيماً إعانة له وتوسعة، فرد المبعوث وقال له: عبد الكريم غير محتاج، وكانت تأتيه الأموال فيفرقها على طلبة العلم المحتاجين.

---

[1] انظر http://www.basaernews.com/news.php?id=1092

[2] الدكتور زياد محمود رشيد العاني ، والعاني نسبة إلى منطقة عانة ، مارس التدريس في الجامعات العراقية سنة 1991 ، نال مرتبة الأستاذية عام 2005 قدم خمسة عشر بحثاً في علم الحديث والفكر الإسلامي، رئيس تحرير مجلة الخطيب التي يصدرها مكتب الدعوة والإرشاد في الحزب الإسلامي والتي تعنى بإعداد الخطباء وتهتم بأمور خطب الجمعة ، رئيس للجامعة الإسلامية سنة 2004 ولحد الآن، من موقع الحزب الإسلامي العراقي/بتصرف

[3] انظر : http://www.basaernews.com/news.php?id=1092

وأما الخلق الثالث فوفاؤه لشيوخه وذلك بذكرهم والقيام بأداء حقوقهم ونشر فضائلهم وترويج مؤلفاتهم وإقرائها للطلبة، وكان كثير التبجيل للعلماء فلا يذكرهم إلا بالخير والثناء والترحم، وما سمعته يوماً وقد ذكر عنده العلامة سيدي الشيخ أمجد الزهاوي الا وقال سيدنا الشيخ، وإذا عرف أن زائراً ما ينحدر من سلالة العلماء والمشايخ يعظمه ويكرمه.
أقول في نهاية هذه الشذرة: إن موته خسارة عظيمة للعالم الإسلامي أجمع، فهو فقيد الأمة الإسلامية، وإن موته قد طوى صفحة مليئة بالمفاخر والفضائل، فرحمك الله يا أستاذنا يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا، وإن القيام بمهامه بعده لحمل ثقيل، أسأل الله تعالى أن يجمع شمل علماء العراق تحت مظلة الحب في الله ونصرة دينه ".[1]

ولمكانته الاجتماعية والثقافية بين الكرد والتركمان أيضاً فقد أقامت جمعية كركوك الثقافية والاجتماعية مهرجانا لتكريم الفقيد العلامة عبد الكريم المدرس خلال الفترة من 3/31 إلى 2006/4/1 على قاعة معهد إعداد المعلمين في كلار [2] وقد شارك في المهرجان عدد كبير من العلماء والمثقفين والكتاب والباحثين من كردستان. كما أصدرت اللجنة المشرفة على المهرجان نشرة بالمناسبة باسم(المدرس) تضمنت عددا من المقالات والدراسات عن العلامة[3] .

ومن الملازمين للشيخ رحمه الله في الأعوام الأخيرة من حياته الشيخ محمد علي القره داغي[4] ، والذي أشرف على طبع العديد من مؤلفاته ، وهو خير من وصف مجلس الشيخ في بغداد وذكاءه وذاكرته قائلا: "متع الله الشيخ المدرس بذاكرة قوية ، وحفظ عجيب لما يسمعه ويشاهده ، بحيث من يجلس عنده و يسرد الحديث عن حادثة حدثت قبل خمسين عاما

---

(1) انظر : http://www.basaernews.com/news.php?id=1092

(2) المستقلة / قناة الجذكليبك

(3) من مقال نشره –كل من:إبراهيم باجلان/حبيب فرج–في جريدة الإتحاد،المصدر :
http://www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=13930

(4) الأستاذ محمد علي القره داغي ، عراقي له اهتمام كبير بالتراث، وهو مؤلف كتاب"إحياء تاريخ العلماء الكورد من خلال مخطوطاتهم" ،لازم الشيخ وأشرف على طبع العديد من مؤلفاته، انظر الموقع الإلكتروني:taakhinews.org

يخيل إليك أنه شاهدها قبل أيام وتسجيله لهذه الحوادث ربما يكون تسجيلا تصويريا بحيث يذكر لك: الوقت ، والمكان"[1]

المطلب الثاني: : المدرس يتحدث عن نفسه:

ذكر المدرس حين ترجم لنفسه – في كتابه علماؤنا في خدمة العلم والدين– جانباً من منن الله عليه وذلك من باب التحدث بالنعمة ، ومن ذالك قوله : وقد وفقني ربي في حياتي من جهات كثيرة لا أطيق إحصاءها وضبطها، ولكن مجمل النعم عبارة عن هذه الأمور:

الأول : دوام التدريس بعد تخرجي إلى يوم نا هذا، حتى وبعد تقاعدي استمرت عندي الدراسة العلمية بقدر الإمكان.

الثاني: لم أزل موفقاً على الخدمات الدينية محترماً بين الأصدقاء وباقي أفراد المسلمين الصالحين الراغبين.

الثالث: كنت ولا أزال مرفه الحال وفارغ البال في المعيشة والكفاف، والآن أنا في سعة ذات اليد ولله الحمد.

الرابع: وفقني ربي لحج بيت الله الحرام وزيارة حضرة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم،في السنة الثامنة والثمانين الهجرية، وكنت مع جماعة من العلماء والأحباب ذهاباً وإياباً.

الخامس: كنت موفقاً على تخرج عدد من الطلاب ، إذا عددناهم إلى الآن تجاوز العدد خمسين عالماً .

السادس: كنت موفقاً على تأليف رسائل وكتب باللغات: الفارسية، والكردية، والعربية.[2] ، وسأبين في المطلب اللاحق بعض مؤلفات الشيخ.

المطلب الثالث : بعض مؤلفات الشيخ المدرس : للشيخ المدرس رحمه الله مؤلفات عديدة ، إذ ألف في عمره الطويل أكثر من ثلاثة وسبعين كتاباً في شتى المجالات من الفقه

---

[1] المصدر : http://www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=1465
[2] علماؤنا في خدمة العلم والدين للمؤلف ،ص330

الإسلامي وعلوم الحديث, والتفسير, والعربية والأدب الكردي ، وبحوث كثيرة نشرت في المجلات المختصة.

وبعض هذه المؤلفات باللغة العربية وبعضها بالغة الكردية والفارسة، وفي ما يلي قائمة لبعض مؤلفات المدرس.[1]

مؤلفاته باللغة العربية :

– إرشاد الأنام إلى أركان الإسلام .

– الأنوار القدسية في الأحوال الشخصية علماؤنا في خدمة العلم والدين .

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن. سبعة أجزاء

- نور الإسلام .

– نور الإيمان.

مؤلفاته باللغة الكردية :

– تة فسيري نامي / تفسيرُ القرآن.

– نووری ئیسلام / نور الإسلام .

– نووري قورئان / نور القرآن .

مؤلفاته باللغة الفارسية:

– رسالة شمشير كاري /في رد من أنكر التقليد والاجتهاد.

ومؤلفات أخرى ، و قصائد رقيقة باللغة الكردية ، كما قام بنشر وتحقيق دواوين رواد وفطاحل الشعر الكلاسيكي الكردي مثل دواوين الشعراء الكبار. [2]

ومؤلفات المدرس ضمت فنوننا متنوعة من المعرفة ، لا شك أنها ذات قيمة علمية كبيرة يستفيد منها طلاب العلم بمختلف مستوياتهم ، ومن هذه المؤلفات كتابه (نور الإسلام)

---

[1]جاء ذكر أكثر هذه المؤلفات في الكتاب الذي ألفه المدرس:علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص130،ص131،ص132، والذي تجدر الإشارة إليه أنه لم يكن هذا الكتاب آخر ما ألف المدرس. لذلك لم يذكر جميع مؤلفاته فيه .

[2]انظر مؤلفات المدرس على الموقع الإلكتروني: http://www.alitthad.com

الذي أهدانيه الشيخ المدرس –رحمه الله– حين إقامتي بالعراق, إذ كنت أتردد على مجلسه كثيراً فأجده لا يخلوا من الطلاب والمحبين والزوار والسائلين والحائرين, وكان ذلك سنة(2001– 2002) وقد أعجبت كثيراً بهذا العالم الفاضل المتواضع مما دفعني لقراءة تفسيره ودراسة منهجه.وقد قرأت هذا الكتاب(نور الإسلام) ووجدته حقاً كتاباً نفيساً.

وكتابه الأنوار القدسية في الأحوال الشخصية أيضاً كتاباً نفيساً ، ضمنه أبحاث جليلة في النكاح والطلاق على ضوء ما استقر في عهد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ؛ والكتاب كما جاء في مقدمته :مشتمل على فوائد نافعة للطالبين وفرائد نفيسة لأهل العلم والدين.

الفصل الثاني:المدخل إلى تفسير المدرس

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:التعريف بكتاب مواهب الرحمن في تفسير القرآن

المبحث الثاني: مصادر الشيخ عبد الكريم المدرس في التفسير

المبحث الأول : التعريف بكتاب مواهب الرحمن في تفسير القرآن

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول :سبب تأليف المدرس للتفسير

المطلب الثاني: مع المدرس في مقدمة تفسيره

المطلب الثالث:طريقة المدرس في بحث المسائل وتحقيقها

المطلب الرابع: طريقة المدرس في تفسيره

المبحث الأول : التعريف بكتاب مواهب الرحمن في تفسير القرآن

المطلب الأول: سبب تأليف المدرس للتفسير :

لقد أشار المدرس في مقدمة تفسيره إلى الأسباب التي دفعته لتأليف كتابه "مواهب الرحمن في تفسير القرآن " بالرغم من كثرة التفاسير، حيث قال: "وقد فسر أئمة هذه الأمة بما وصلت إليه طاقاتهم ، آخذين من النصوص الإلهية، والسنة النبوية، وإجماع الأمة المحمدية ، وآراء العلماء المجتهدين المخلصين؛ فنشروا بين المسلمين تفاسير مختصرة ، ومطولة، ومتوسطة ، حسب قرائحهم النفيسة، ومنائحهم القدسية. ولكن لما كان لكل زمان أوضاع خاصة مبينة ، ومشاكل مهمة معينة ، واقتضى زماننا التعرض لبيان الحق في مهمات واردة ، طلب مني بعض الأصدقاء أن أكتب تفسيراً يعالج ما كنا نبغيه . وإني مع قلة بضاعتي في هذا الشأن ، وضعف استطاعتي لاقتحام هذا الميدان .. توكلت على الله المنان ..."[1]

حقيقة أن ما ذكره المدرس حري بالقبول فالأزمنة المختلفة المتجددة تقتضي تفاسير متجددة أيضاً تواكب المستجدات وتفصّل في الملمات .

المطلب الثاني: مع المدرس في مقدمة تفسيره:

يقع تفسير المدرس في سبعة مجلدات من القطع المتوسط ، فسر فيها كل أجزاء القرآن الكريم، وفق ترتيب المصحف ، وقد بدأ تفسيره بمقدمتين : **المقدمة الأولى**: قصيرة، استهلها بالحمد والثناء على الله، والصلاة على نبيه ﴿ﷺ﴾ ، و ذكر فيها أن القرآن الكريم منبع لدين الإسلام ، ومرجع المسلمين في العقائد والأحكام، وأن الله قد خول نبيه بيانه، ثم بين سبب تأليفه للتفسير، وذكر بعض مراجعه من التفاسير ، وأنه اقتصر على الراجح الذي يطمئن له القلب من الأقوال.

أما المقدمة الثانية : فهي مقدمة طويلة ، بلغت ثمان وخمس ين صفحة، ضمنها مباحث تتعلق بعلوم القرآن، وأشار إلى أن هذه المباحث مهمة ينبغي الاطلاع عليها، منها :

---

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (5/1)

ـــ مبدأ التنزيل وأول زمانه .

ـــ تنزلات القرآن.

ـــ كيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن أخذ.

ـــ دليل نزول القرآن منجماً.

ـــ نزول القرآن على سبعة أحرف دليله وبيانه.

ـــ جمع القرآن.

ـــ ترتيب آيات القرآن وسوره .

ـــ أول ما نزل وآخر ما نزل .

ـــ المكي والمدني .

ـــ آداب التلاوة.

وبعد هذه المقدمة بدأ المدرس بتفسير القرآن حسب ترتيب المصحف، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، وجعل في نهاية كل مجلد فهرساً للمواضيع .

وقد طبع التفسير سنة(1986م – 1406هـ) بدار الحرية– بغداد –العراق، وعني بنشره محمد علي القره داغي [1]. وحسب علمي فإن تفسير المدرس لم يطبع غير هذه الطبعة ، وقد أهداني الشيخ المدرس – رحمه الله – نسخة من هذا التفسير فجزاه الله خير الجزاء.

---

[1] محمد علي القره داغي من الطلاب المخلصين والملازمين للشيخ المدرس انظر ترجمته في الفصل الأول (تلاميذ المدرس) من هذه الرسالة.

واستغرق تأليف المدرس لهذا التفسير سنتين ، وقد صادف الختام الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ألف وأربعمائة وأربع هجرية .[1]

المطلب الثالث : طريقة المدرس في عرضه للتفسير:

لم يختلف المدرس كثيراً في طريقة عرضه للتفسير عمن سبقه، فقد فسر القرآن الكريم كاملاً و على الترتيب المعهود في المصحف للسور والأجزاء ، حيث ابتدأه بتفسير سورة الفاتحة واختتمه بتفسير سورة الناس.

ويمكن إجمال البناء الهيكلي وطريقة العرض في تفسير المدرس رحمه الله في النقاط التالية:

1– أنه يذكر اسم السورة دائماً ، وإن كان للسورة أكثر من اسم ذكره ، ولكنه لا يلتزم بذلك في كل السور، ومثال ذلك: فعند تفسيره لسورة فصلت قال:سورة فصلت ، وتسمى حم السجدة .[2]

2– يذكر مكان نزول السورة ، وعدد آياتها ، ومن ذلك :

المثال الأول: سورة الفاتحة: [3]

ـــ النزول :نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ،قيل : وبالمدينة مرة أخرى حين حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة تطميناً للرسول ﴿ﷺ﴾ ، وتأكيداً للاهتمام بالصلوات وقراءتها فيها.

ـــ اسمها : وتسمى بالسبع المثاني لأنها سبع آيات تكرر قراءتها في الصلوات . وأم الكتاب لاشتمالها على جميع ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه،وبيان وعده،ووعيده. وبالوافية ،والكافية،والشافية،وغيرها من الأسامي.

ـــ عدد آياتها: وهي سبع آيات بالاتفاق .

---

[1] انظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن (584/7)
[2] المصدر السابق (30/7)
[3] المصدر السابق (76/1)

المثال الثاني: سورة الإخلاص :

ــ اسمها: سورة الإخلاص

ــ مكان النزول:نزلت مكية

ــ عدد آياتها:آياتها أربع

ــ الترتيب النزولي : نزلت بعد سورة الناس.[1]

3- عند بداية كل سورة يذكر ترتيب السورة حسب نزولها في الغالب .

المثال الأول: سورة فصلت :[2]

ــ وتسمى حم السجدة.

ــ النزول: وهي مكية .

ــ عدد الآيات :وآياتها أربع وخمسون.

ــ نزلت بعد غافر.

المثال الثاني: سورة النساء :[3]

ــ مكان النزول: مدنية

ــ عدد آياتها: مائة وست وسبعون

ــ ترتيبها: نزلت بعد سورة الممتحنة .

4- بعد ذكره لاسم السورة ، ومكان نزولها ، وعدد آياتها ، وترتيبها ، يأتي بالبسملة ثم يعرض مجموعة من الآيات فيفسرها كلمة كلمة ، جملة جملة، حتى ينتهي من الآية ثم ينتقل للتي تليها ، فإذا انتهى من تفسير المجموعة كلها أتى بملخص تفسير هذه الآيات ، ثم

---

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، (577/7)
[2] انظر: انظر المصدر السابق (30/7)
[3] انظر المصدر السابق(311/2)

ينتقل إلى المجموعة التي تليها وهكذا إلى نهاية السورة ، وهو في الغالب يلتزم بهذا الترتيب.

5- يجعل الكلمة القرآنية بين قوسين، ثم يردفها ببيان الألفاظ والمعاني ، والإعراب أحياناً، وقد لا يقف عند آيات السورة جميعها بالتفسير والبيان ، كما لا يعنى بتفسير الآية الواحدة أحياناً ، بل يكتفي بالوقوف عند كلمة أو جملة منها.

6- يذكر سبب النزول إن كان للآية سبب النزول دائماً ، وقد وعد بهذا في مقدمة تفسيره ووفّى بوعده .[1] ومن الأمثلة على ذلك :

سورة الأنفال[2]

- المكان : مدنية.

- العدد : وهي خمس وسبعون آية .

- سبب النزول:اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم ، ومن يُقسّم له ؟ المهاجرون منهم أو الأنصار ؟ وقيل : شرط رسول الله ﴿ﷺ﴾ لمن كان له غناء أن ينفله ، فتسارع شبانهم حتى قتّلوا سبعين وأسروا سبعين.ثم طلبوا نفلهم ، وكان المال قليلاً فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات :كنا رِدْءاً لكم وفئة تنحازون إليها. فنزلت فقسمها الرسول﴿ﷺ﴾ بينهم على السواء . وعن سعد بن أبي وقاص ﴿رضي الله عنه﴾ قال (لما كان يوم بدر قتل أخي عمير ، وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه . فأتيت به الرسول ﴿ﷺ﴾ واستوهبته منه ، فقال: ليس هذا لي ولا لك ، اطرحه في القبض فطرحته .وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي . فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله ﴿ﷺ﴾ سألتني السيف وليس لي ، وإنه قد صار لي فاذهب فخذه.)[3] [4]

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في فسير القرآن (6/1)

[2] انظر: الصدر السابق (74،75/4)

[3] انظر : النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد : "أسباب النزول" . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع(1/155)

[4] خرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ، باب مسند سعد بن أبي وقاص (178/1)،الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة ، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير عاصم بن أبي النجود فمن رجال أصحاب السنن.

7- يذكر المعاني اللغوية ، والحقائق الاصطلاحية ، و نواحي الإعراب والقواعد الصرفية أحياناً ، ومن الأمثلة على اهتمامه بالحقائق اللغوية والاصطلاحية:

أولاً: ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(البقرة: ٣)

قوله: الإيمان في اللغة ،وفي العرف المنطقي ،وفي عرف الشرع:هو الإذعان العلمي والتصديق القلبي على حد سواء ،غير أن الإيمان في اللغة وفي المنطق لم يشترطا بالتسليم الفعلي ولا بمباينة السخط، فإن المصدق لقول شخص يعتبر مؤمناً بكلامه ، وإن عاداه نفساً وأنكره قلباً، فالإيمان اللغوي والمنطقي يجتمع مع الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦) ولكن الإيمان في عرف الشرع لما كان هو التصديق بجميع ما جاء به الرسول (ﷺ) من عند الله ومن جملة ما جاء به التوحيد لله؛فلا يجتمع الإيمان مع الشرك ، ومع الكراهية للدين وأهله ، ومع الاستحقار لشعائر الإسلام .
حيث إن الغاية من الإسلام والإيمان الدخول في ساحة ساعدة الدين والتعاون مع المسلمين ، والنصح لهم ، والاهتمام بشؤونهم الدينية والدنيوية المرضية .ولا يتناسب ذلك مع ما يخالفه قطعاً. ولذلك قال المحققون : إن الإيمان بالله وبالرسول وبما جاء به هو المحبة والرضا.
وعليه قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥).وقال (ﷺ) (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[1].[2]

ثانياً:ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٤) قوله :والإيقان من اليقين ، وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع [3]

---

[1] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل, "الجامع الصحيح ", تحقيق مصطفى البغا, ط3 1407هـ/1987م. في كتاب بدء الوحي (10/1) دار ابن كثير اليمامة, بيروت ،وعند مسلم في باب وجوب محبة رسول الله(49/1)

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (92،1/93)

[3] انظر: المصدر السابق (96/1)

8- يفسر كل آية بما يزيل اللبس والغموض عنها، بلغة سهلة الفهم والدلالة غالباً ، أما في المباحث العقلية فيغلب على أسلوبه طابع المنطق و الكلام .

9- يذكر النكت البلاغية أحياناً ، ويكشف عما في الآية من بيان .

10- عند تفسيره لآيات الأحكام يأتي بالمباحث الفقهية المطولة ، وذلك بعد أن يفسر الآية .

11- يذكر أحياناً القراءات القرآنية ، ويبين أثرها في المعنى .

12- يختم المباحث المطولة ومسائل الخلاف بخلاصة جامعة ، فتجده بعدما ينهي بحوثه الطويلة يعطيك خلاصة هذه البحوث والتي هي بمثابة الزبدة ، ويورد هذه الخلاصة بألفاظ متقاربة منها: قوله:" وخلاصة الكلام" [1] ، أو قوله: "وحاصل تفسير الآيات" [2]، أو قوله:" وحاصل خلاصة هذه المسألة" [3].

المطلب الرابع : طريقة المدرس في بحث المسائل وتحقيقها:

من خلال مطالعتي لتفسير المدرس وجدته قد تميز بتحقيقاته العلمية للمسائل التي يبحثها ، ويتنوع منهجه في البحث في هذه المسائل وتحقيقها تبعاً لطبيعة المسألة ، فيفصل أحياناً وأحياناً يوجز ، ونادرا ما يحيل إلى مواضع أخرى في تفسيره أو إلى كتب أخرى .ويمكن أن نوجز منهجه في بحث المسائل وتحقيقها في النقاط التالية:

أولاً: التفصيل : أخذ التطويل والاستطراد مظهراً بارزاً في تفسير المدرس والتطويل ، كما لا يخلو من اللطائف والنكت والفوائد ؛غير أنه يبعد ذهن القارئ أحياناً عن سياق الآيات ، وفي هذا الاستطراد دلالة على غزارة علم الشيخ وسرعة بديهته واطلاعه الواسع ، ومن الاستطراد في تفسير المدرس وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ**

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (93/1)
(2) المصدر السابق (165/1)
(3) المصدر السابق (50/2)

وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء: ١١)، والآيات(12،13،14من سورة النساء)،وفي معرض تفسيره لهذه الآيات و المتعلقة بعلم الفرائض فصل في هذا الموضوع ، واستطرد في البحث ؛ففي البداية أشار إلى فضل هذا العلم ومكانته ، ثم بين سبب تسميته بعلم الفرائض ، ثم ذكر شروطه ، وموانعه ، وأسبابه ، وعدد الورثة ، وتمييز أصحاب الفروض من العصبة .[1] ، وقد يذهب إلى أبعد من هذا في الاستطراد في تحقيقاته العلمية للمسائل ، كما هو الحال في بحثه لمسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد ؛ فأورد بحثاً متكاملاً في أزيد من ثلاثين صفحة ، وفصل فيها القول تفصيلاً .[2] ورجح القول بوقوعه ،

ثانياً : الإيجاز : ومن الأمثلة التي توضح ذلك كلامه عن (إلى) في الغاية ــ عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦) ــ فلم يتطرق المدرس إلى معاني (إلى)والفرق بينها وبين (حتى) في اللغة ، واكتفى ببيان معناها في الآية ، فقال :"واغسلو أيديكم من رؤوس الأصابع وما بينهما والكف والساعد على المنتهى مع المرافق ؛ لتناول اليد لهما ولإتباع الرسول(ﷺ)في غسلها " [3]

ثالثاً :الإحالات: وتكون إما :

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (344-328/2)
[2] انظر: المصدر السابق (56-19/2)
[3] انظر: المصدر السابق (111/3)

1- بالإحالة إلى مواضع أخرى من التفسير:

ومن ذلك قوله:"هو الذي ذكر في أول سورة البقرة" [1] أو قوله:"والكلام فيه هو الكلام في نظيره"[2] ،أو قوله: **(كما يأتي مفصلاً)**[3]

2- بالإحالة إلى مصادر أخرى: فيذكر اسم الكتاب ومؤلفه ويحدد الباب ، ومن ذلك قوله "وإن شئت فراجع تحفة ابن حجر الهيثمي في كتاب الإجارة " [4]، وقد يكتفي بذكر اسم الكتاب ، كقوله ــ عند حديثه عن الأفضل من أوجه الحج الثلاث ــ: "كما ذكره الشيخ المحدث ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري الشريف ومن أراد الإطلاع على تفصيل الأمر فليراجعه "[5] وقد يكتفي بالإحالة من غير تحديد . ومن الأمثلة على ذلك: قوله: "ومن أراد الإطلاع فليراجع كتب الفقه في الموضوع"[6] ، وأحياناً إحالاته يكتنفها بعض الغموض وذلك حين يحيل إلى ما سبق أو ما سيأتي ــ كما أشرت ــ دون تحديد ، مما يتعب القارئ في البحث ، وهي من المآخذ على المدرس .

ومن الإحالات الغامضة أيضاً إحالاته إلى المصادر ومن ذلك قوله : "كما في شرح ألفية ابن مالك "[7] ، فإذا علمنا أن "ألفية ابن مالك"حظيت بعشرات الشروح ، عرفنا مقدار العنت الذي يجده القارئ لتحديد هذا المصدر الذي نقل عنه المدرس.

رابعاً : طريقة الفنقلة : وهي قوله "فإن قلت: كذا ... قلت :كذا" ، وهي طريقة معروفة عند المتقدمين ، ويعد الزمخشري أحد المبدعين فيها، فهو يقدر ما يمكن أن يجول في ذهن القارئ حول المسألة من تساؤلات فيجيب عنها، ومن الأمثلة من تفسير المدرس قوله : "فإن قيل إذا كان إبليس من الملائكة فكيف عصى ربه مع أن الله أخبر بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا مجال لنسخ الخبر كما هو مقرر، وإن كان من الجن فكيف

---

[1] ا مواهب الرحمن في تفسير القرآن (138/2)
[2] الصدر السابق (5/7)
[3] المصدر السابق (328/2)
[4] المصدر السابق (168/1)
[5] المصدر السابق: (362/1)
[6] المصدر السابق: (364/1)
[7] المصدر السابق: (74/1)

شمله الأمر بالسجود للملائكة وكيف صح استثناؤه منهم؟ قلنا لا شبهة في أن إبليس لم يكن من الملائكة وكان من الجن لأدلة."[1] ، وذكر ستة أدلة.

خامساً :الخطاب : واقصد بالخطاب مخاطبة المدرس للقارئ فيشد انتباهه ويثير اهتمامه ، ويستعمل في ذلك صيغاً متعددة ، منها : "واعلم" [2] ، "ألا ترى"[3] أو "فاحذروا من أغاليط الناس"[4] ...إلخ.

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (138،139/1)
[2] المصدر السابق (141/1)
[3] المصدر السابق (79/1)
[4] المصدر السابق (143/1)

المبحث الثاني: مصادر الشيخ عبد الكريم المدرس في التفسير:

إن دراسة منهج المفسر للقرآن الكريم تتطلب مني أولاً معرفة المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره ؛ وذلك للوقوف على مقدار الجهود التي بذلها ، ولمعرفة أهمية هذا التفسير .

ولقد كانت مصادر المدرس في تفسيره متعددة ومتنوعة ، وهذا ما أكسبه ثقافة واسعة ، بحيث لم ينظر إلى كتاب الله عز وجل نظرة خاصة ، ومن زاوية ضيقة بل كانت نظرته عامة وشاملة . وسأتناول إن شاء الله هذا المبحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : مصادر المدرس .

المطلب الثاني: منهج المدرس في ذكر مصادره.

المطلب الثالث: منهج المدرس في النقل من هذه المصادر.

المطلب الرابع: موقف المدرس مما ينقل.

المطلب الأول : مصادر الشيخ عبد الكريم المدرس

أولاً:كتب التفسير وعلوم القرآن:

- أحكام القرآن لابن العربي.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي.
- البحر المحيط لأبي حيان.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا.
- تفسير ابن عرفة المالكى.
- تفسير البيضاوي.
- التفسير الكبير للفخر الرازي.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.
- روح البيان لإسماعيل حقي.
- روح المعاني للألوسي.
- زاد المسير لابن الجوزي.

- الكشاف للزمخشري.
- المحرر الوجيز لابن عطية.
- معالم التنزيل للبغوي.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي.

ثانياً:كتب علوم الحديث.

- سنن أبي داود
- سنن ابن ماجه
- سنن البيهقي
- سنن الترمذي
- سنن الدارقطني
- سنن النسائي
- شرح صحيح مسلم للنووي
- صحيح ابن حبان
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- فتح الباري لابن حجر
- المستدرك على الصحيحين للحاكم

- مسند الإمام أحمد
- المعجم الكبير للطبراني

ثالثاً:كتب العقائد والتصوف:

- إحياء علوم الدين للغزالي
- دلائل النبوة للبيهقي
- شرح العقائد النسفية للتفتزاني
- شرح المقاصد للتفتزاني
- شرح المواقف للشريف الجرجاني
- طوالع الأنوار للبيضاوي
- المقاصد في علم الكلام للتفتزاني
- المواقف للإيجي

رابعاً:كتب الفقه وأصوله:

- شرح أصول ابن الحاجب للسبكي
- جمع الجوامع
- منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي
- نهاية السول في شرح منهاج الوصول للإسنوي
- الهداية للمرغيناني

خامساً:كتب اللغة:

- أساس البلاغة للزمخشري
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب
- التذكرة لأبي علي الفارسي
- التعريفات للجرجاني
- الكليات لأبى البقاء الكفومى
- ألفية ابن مالك
- مغني اللبيب لابن هشام

سادساً:كتب السيرة والتاريخ والتراجم:

- الإصابة لابن حجر
- الاستيعاب لابن عبد البر
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي
- الكامل في التاريخ لابن الأثير
- المغازي للواقدي

المطلب الثاني : منهج المدرس في ذكر مصادره:

أولا :ذكر المصدر والمؤلف: فيقول مثلاً: "كما صرح به السعد في شرح العقائد" [1] أو"ورأيت ما نقله العالم المصري المشهور السيد محمد فريد وجدي في كتابه :دائرة معارف القرن الرابع عشر" [2] أو"وفي تفسير القرطبي" [3] أو"وقال النووي في شرح مسلم " [4]أو"ما ذكره العلامة ابن القيم في زاد المعاد"[5]أو"فقد أخرج ابن النجار في تاريخه"[6]

ثانيا: ذكر المؤلف فقط: فيقول مثلاً :"قال الشهاب" [7] أو "قال السبكي" [8] أو "وعن القشيري"[9] أو "وقال النحاس" أو"وذهب أبو البقاء" [10] أو"وهو مذهب الفراء" [11] أو "وفي البيضاوي"[12] أو "وقال الإمام الغزالي رحمه الله" [13] أو"وقال العلامة التفتزاني"[14] أو "قال القرطبي"[15] أو "ما حكاه ابن عبد البر"[16] **أو** "فيما حكا ابن الجوزي"[17]

ثالثا: ذكر المصدر فقط:

---

(1) انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن(91/1).
(2) انظر المصدر السابق(149/1).
(3) انظر المصدر السابق(166/1).
(4) انظر المصدر السابق(25/2).
(5) انظر المصدر السابق(24/2).
(6) انظر المصدر السابق(142/5).
(7) انظر المصدر السابق (83/1).
(8) انظر المصدر السابق(211/5).
(9) انظر المصدر السابق(211/5).
(10) انظر المصدر السابق(316/2).
(11) انظر المصدر السابق(316/2).
(12) انظر المصدر السابق(126/5).
(13) انظر المصدر السابق(265/1).
(14) انظر المصدر السابق(273/1).
(15) انظر المصدر السابق(350/1).
(16) انظر المصدر السابق(7/2).
(17) انظر المصدر السابق (220/1)

فيقول مثلاً: "وفي روح المعاني"[1] أو "على ما في الصحاح"[2] أو "وفي فتح الباري "[3] أو "وفي تفسير المنار" [4] أو "وفي الكشاف" [5] أو "وفي تفسير روح البيان " [6] أو "وفي شرح غريب المهذب"[7] أو "كما في القاموس"[8]

رابعا: عدم ذكر المصدر والمؤلف:

فيقول مثلاً: "و حكي بعض العلماء " [9] ، أو "وأجيب عنه" [10]، أو"ومن المفسرين من فسر"[11]، أو"وقال بعض"[12] ، أو"ومنهم من قال"[13] ، أو"ونعم ما قيل في هذا المقام"[14] أو"ثم إنهم فسروا "[15] أو "ومنهم من يقول" [16] أو "وروي" [17] أو قوله "...وإلا فبعض العلماء جعله..."[18] أو "ثم إن من العلماء الذين قالوا ..."[19] أو "كما أفاده بعض المحققين الأصفياء"[20] أو "فمن المفسرين من قال"[21]

---

(1) انظر"مواهب الرحمن في تفسير القرآن "(126/5).
(2) انظر المصدر السابق(139/5).
(3) انظر المصدر السابق (259/1)
(4) انظر المصدر السابق (83/1)
(5) انظر المصدر السابق (178/1)
(6) انظر المصدر السابق (185/1)
(7) انظر المصدر السابق (110/2)
(8) انظر المصدر السابق (213/5)
(9) انظر المصدر السابق(126/2).
(10) انظر المصدر السابق(352/3).
(11) انظر المصدر السابق(354/3).
(12) انظر المصدر السابق(133/2).
(13) انظر المصدر السابق(133/2).
(14) انظر المصدر السابق(355/2).
(15) انظر المصدر السابق(18/5).
(16) انظر المصدر السابق (185/1)
(17) انظر المصدر السابق (183/1)
(18) انظر المصدر السابق (227/1)
(19) انظر المصدر السابق (215/5)
(20) انظر المصدر السابق (219/5)
(21) انظر المصدر السابق (226/5)

المطلب الثالث: منهج المدرس في النقل من هذه المصادر:

أولا : النقل باللفظ والمعنى: ومن الأمثلة على ذاك نقل المدرس عند تفسيره لقوله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ١٠٦ – ١٠٧) قال: المدرس[1] : "يقول المفسر البيضاوي رحمه الله تعالى ما نصه : ومعنى الآيتين: إن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يُشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطاً فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ،ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ بالوقت ، فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت ، والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث،وثابت إن كانا وصيين . ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين ، فإن تصديق الوصـي باليمين لأمانته أو لتـغيير الدعـوى ــ انتهى "[2].

ثانيا: النقل بالمعنى:

من أمثلة نقل المدرس بالمعنى ما نقله عن الرازي في المراد بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (221/3)

[2] أنظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي:" تفسير البيضاوى" ، دار النشر : دار الفكر – بيروت(ج376/2)

ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾ (المائدة: ١٠٦) قـــــال المدرس:"وقال الإمام الرازي: إن قوله تعالى إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت:المقصود منه بيان أن جواز الاستشهاد بآخرين من غير المسلمين مشروط بما إذا كان المستشهد مسافراً ضارباً في الأرض وحضرت علامات نزول الموت. "[1]

فقد جاء النص في (مفاتيح الغيب للرازي) كما يلي: "الحجة الثانية أنه تعالى قال أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض وهذا يدل على أن جواز الاستشهاد بهذين الآخرين مشروط بكون المستشهد في السفر فلو كان هذان الشاهدان مسلمين لما كان جواز الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لأن استشهاد المسلم جائز في السفر والحضر"[2]

ثالثا: النقل بالاختصار: ومن أمثلة تلخيص المدرس للكلام قوله عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء: ٩١) ، قال: "وفي روح المعاني ما نصه : وعن بعض المحققين أن هذه الآية مقابلة للآية الأولى(يقصد قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ (النساء: ٩٠) ، فقوله سبحانه وتعالى :{ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ } (النساء: ٩١) مقابل لقولـه تعالـى : { فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ } وقوله جـــــلّ

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (219/3)

[2] الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، "التفسير الكبير مفاتيح الغيب"،ط1، دارالنشر : دار الكتب العلمية – بيروت – 1421هـ – 2000 م ،(96/12)

وعلا: { وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ } مقابل لقوله تعالى: { وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ } وقوله تعالى:{ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ } مقابل لقوله تعالى :{ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ } والواو لا تقتضي الترتيب ؛ فالمقدم مركب من ثلاثة أجزاء في الآيتين. وهي في الآية الأولى الاعتزال وعدم القتال وإلقاء السّلم فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط .وجزاؤه عدم التعرض لهم بالأخذ القتل كما يشير إليه قوله تعالى :{ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } .

وفي الآية الثانية عدم الاعتزال وعدم إلقاء السلم وعدم الكف عن القتال ، فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط ، وجزاؤه الأخذ والقتل المصرح به بقوله سبحانه:

{ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ } ــ انتهى باختصار. "[1]

والنص في المصدر المشار إليه هو:" وعن بعض المحققين أن هذه الآية مقابلة للآية الأولى ، وبينهما تقابل إما بالإيجاب والسلب ، وإما بالعدم والملكة لأن إحداهما عدمية والأخرى وجودية وليس بينهما تقابل التضاد ولا تقابل التضايف لأنهما على ما قرروا لا يوجدان إلا بين أمرين وجوديين فقوله سبحانــه:{ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ } مقابل لقوله تعالى : { فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ} وقوله جل وعلا :{ وَيُلْقُوٓاْ } مقابل لقوله عز شأنه :

{ وَأَلْقَوْاْ } وقوله جل جلاله :{ وَيَكُفُّوٓاْ } مقابل لقوله عز من قائل: { فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ }، والواو لا تقتضي الترتيب ، فالمقدم مركب من ثلاثة أجزاء في الآيتين ، وهي في الآية الأولى الاعتزال وعدم القتال وإلقاء السلم فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط ، وجزاؤه عدم التعرض لهم بالأخذ والقتل كما يشير إليه قوله تعالى : { فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } وفي الآية الثانية عدم الاعتزال وعدم إلقاء السلم وعدم الكف عن القتال ، فبهذه الأجزاء الثلاثة تم الشرط ، وجزاؤه الأخذ والقتل المصرح به بقولـــــه سبحانـــــه : { فَخُذُوهُمْ

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (26/3)

وَٱقۡتُلُوهُمۡ }. ومن هذا يعلم أن :{وَيَكُفُّوٓاْ } بمعنى لم يكفوا عطف على المنفي لا على النفي بقرينة سقوط النون الذي هو علامة الجزم ، وعطفه على النفي والجزم بأن الشرطية لا يصح لأنه يستلزم التناقض لأن معنى :{ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ } إن لم يكفوا ، وإذا عطف :{ وَيَكُفُّوٓاْ }على النفي يلزم اجتماع عدم الكف والكف ، وكلام الله تعالى منزه عنه ، وكذا لا يصح كون قوله سبحانه : {وَيَكُفُّوٓاْ } جملة حالية ، أو استئنافية بيانية ، أو نحوية لاستلزام كل منهما التناقض مع أنه يقتضي ثبوت النون في { يَكُفُّوا} على ما هو المعهود في مثله ، وأبو حيان جعل الجزاء في الأول مرتبا على شيئين ، وفي الثانية على ثلاثة ، والسر في ذلك الإشارة إلى مزيد خباثة هؤلاء الآخرين ، وكلام العلامة البيضاوي – بيض الله تعالى غرة أحواله – في هذا المقام لا يخلو عن تعقيد ، وربما لا يوجد له محمل صحيح إلا بعد عناية وتكلف فتأمل جدا {وَأُوْلَـٰٓئِكُمۡ } الموصوفون بما ذكر من الصفات الشنيعة. "[1]

المطلب الرابع: موقف المدرس مما ينقل: ويتضمن

أولاً: نقل المدرس دون تعليق:

فقد يكتفي المدرس بإيراد النص كما هو دون تعليق كنقله عن الألوسي كلامه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٦٥ ، قال: وفي روح المعاني"وحاصل هذا التشبيه أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يقارنها من الإخلاص والتعب وحب المال والإيصال إلى الأحوج التقي وغير ذلك ، فهناك تشبيه حال النفقة النامية لابتغاء مرضاة الله تعالى الزاكية عن الأدناس لأنها للتثبيت الناشئ عن ينبوع الصدق والإخلاص

---

[1] الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي, "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني", تحقيق : على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، سنة الطبع: 1415 هــ،(107/3)

بحال جنة نامية زاكية بسبب الربوة وأحد الأمرين الوابل ، والطل ، والجامع النمو المقرون بالزكاة على الوجه الأتم ، وهذا من التشبيه المركب العقلي."[1]

ثانياً: نقل المدرس وتأييد من ينقل عنه ومدحه:

المثال الأول: قـال المدرس عند تفسيره لقولـه تعالـى:﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ (الفتح: ١)

" إخبار عن صلح الحديبية عند الجمهور، قال ابن عطية وهو الصحيح: وأصل الفتح إزالة الإغلاق عن أي عقدة[2]، وفتح البلد إزالة غلق باب سوره وفتحه للظافرين الذين يدخلونها من باب. وقال بعض: إنّ المراد بالفتح هنا: فتح خيبر. وقال بعض: فتح مكة. وعليه تكون الآية الكريمة وعداً بالفتح، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع . والظاهر أنه إذا حملاه على فتح البلاد فالمراد به فتح مكة ، لأنه هو الذي كان نصب العين للرسول صلى الله عليه وسلم والهدف الأشرف، فإنه بعد فتح أم القرى ففتح ما سواها سهل يسير والله على كل شيء قدير. وإذا حملناه على إزالة الإغلاق فالمراد به الوعد بإزالة الموانع التي كانت أمامه حتى يصل إلى غايته القصوى وهي النجاح في مهمته ونشر شريعته واعتناق الأمة لدينه والالتفاف حول لوائه في تنوير العبـاد وتعمير البلاد مادة ومعنى ، وهذا هو الفتح المبين والنصر العزيز لسيد المرسلين."[3]

وأرى أن قول الجمهور أولى بالتقديم لأن الآية نزلت عند رجوع الرسول(ﷺ) من صلح الحديبية ؛ قال الشنقيطي [4] : التَّحْقِيقُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْفَتْحِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ; لِأَنَّهُ فَتْحٌ عَظِيمٌ . وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ الصُّلْحَ الْمَذْكُورَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي تَهَيَّأَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَجْتَمِعُوا بِالْكُفَّارِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَيَّنُوا لَهُمْ مَحَاسِنَهُ ، فَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ .

---

[1] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن(103/2)،وانظر:روح المعاني(مصدر سابق)(ج36/2)

[2] انظر : إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار،"المعجم الوسيط": دار النشر : دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، باب الفاء (672/2)

[3] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (136/7)

[4]الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني :"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: 1415 هـ - 1995 م-(ج375/1)

وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ شَهِدُوا صُلْحَ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي ذِي الْقِعْدَةِ عَامَ سِتٍّ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ .

وَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﴿ﷺ﴾غَزْوَ مَكَّةَ حِينَ نَقَضَ الْكُفَّارُ الْعَهْدَ ، كَانَ خُرُوجُهُ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ عَامَ ثَمَانٍ .

وَكَانَ مَعَهُ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَذَلِكَ يُوَضِّحُ أَنَّ الصُّلْحَ الْمَذْكُورَ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ .

المثال الثاني: ومن مدحه لمن ينقل عنهم أيضاً ، مدحه للإمام الرازي وذلك حين تحدث عن شفاء القرآن فقال : [1] : "والإمام الرازي عمم شفائيته ، وقد أحسن فقال: هو شفاء للأمراض الروحانية ، وهي نوعان : اعتقادات باطلة ، وأخلاق مذمومة، فلاشتماله على الدلائل الحقة الكاشفة عن المذاهب الباطلة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر المبينة لبطلانها يشفى عن النوع الأول من الأمراض . ولاشتماله على تفاصيل الأخلاق المذمومة وتعريف ما فيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال المحمودة يشفى عن النوع الآخر .

والشفاء إشارة إلى التخلية. والرحمة إشارة إلى التحلية. ولان الأولى أهم من الثانية قدم الشفاء على الرحمة . هذا وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢)، نص إلى أن القرآن كما أنه عسل لأهل الإنصاف كذلك أسل لأهل الظلم والإعتساف ، فإن الدواء إنما ينفع من يشربه لا من يصبه ، والظالمون أنفسهم باستمرار العناد لا يهتدون إلى سبيل الرشاد."

ثالثاً: نقل المدرس والتعليق على ما نقله:

المدرس ليس مجرد ناقل للأقوال، وإنما هو ناقد ومحلل لها مع الإنصاف والموضوعية ، فكثيراً ما يوجه وينتقد ما ينقل ، فـيقول مثلاً عند نقله كلاماً لأحد العلماء معقباً له ومنتقداً

[1] انظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن (212/5)

ومبيناً:"قلت وبالله التوفيق" [1] أو "واعتقادي" [2] أو "أقول " [3]. ومن الأمثلة على تعقباته ومناقشته لآراء من ينقل عنهم كلامه في شرح قول الشهاب عند قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ١٠٨)، وبعد أن فسر الآية وأورد فيها بعض أقوال أهل العلم قال:- (وفي حاشية الشهاب أيضاً ما نصه : " والشهادة لها معان منها الإحضار كقوله تعالى :﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، ومنها القضاء نحو:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ **(آل عمران: ١٨)** أي قضى، ومنها: أقر ، ومنها حكم، ومنها حلف ، ومنها علم ، ومنها وصى كما في هذه الآية ."[4]

ثمّ قال المدرس: قلت: والظاهر عندي أن الشهادة هنا على المعنى المعروف في الشرع ، لكنها في أول الأمر شهادة حسبة أي أن قول العدلين الحاضرين عند الوصية للورثة قبل النزاع إن فلاناً أشهدنا قبل موته بكذا وكذا شهادة حسبة وبيان حق لمرضاة الله . وفي وقت حدوث النزاع بين الورثة وطلب بعضهم منهم مقداراً وإنكار غيره له تكون شهادة مقامة بشرط طلب الورثة منه الشهادة ، أو طلب القاضي . وأما شهادة الآخرين فليس إلا كلاماً مستقلاً يؤدى في مقابل الرجلين الخائنين حاصله أن ذلك المال مال أصحابه والله أعلم ."[5]

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (145/2)
[2] انظر: المصدر السابق (358/2)
[3] انظر : المصدر السابق (33/2)
[4] أنظر: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي: "حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي"(المُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار النشر : دار صادر ـــ بيروت(ج290/3)، وانظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن(ج221/3)
[5] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (221/3)

الفصل الثالث:

منهج المدرس في التفسير وموقفه من الإسرائيليات

المبحث الأول: منهج المدرس في التفسير المأثور

تمهيد

يمكن تصنيف تفسير المدرس في مدرسة التفسير الأثري النظري ، والتي تجمع بين الرواية ، والاجتهاد والنظر والتحليل ؛ لأن المدرس التزم الجمع بين المأثور عن النبي والصحابة والتابعين والرأي القائم على الاجتهاد والنظر ، و يختص الأثر بالنقل الصحيح فلذلك قيل: " أن التفسير بالمأثور هو مما لا دخل للاستنباط العقلي فيه أو الاجتهاد ، ولا يمكن اعتبار التفسير بالمأثور إلا إذا استند على مصادر هي : تفسير القرآن بالقرآن ، تفسير القرآن بالسنة ، تفسير القرآن بمأثور الصحابي، أو التابعي[1]، ومن أشهر المفسرين في هذا النهج : الطبري، والسمرقندي ، والثعلبي ، والنيسابوري ، والبغوي ، وابن كثير ، والسيوطي."[2]

وقلما تجد كتاباً من كتب التفسير بالمأثور خالياً تماماً من التفسير بالرأي، والنظر،ومن الصعوبة أيضاً تجريد التفسير بالرأي من التفسير بالمأثور، وفي هذا يقول الشيخ محمد الذهبي رحمه الله :"الجمود على المنقول تقصير وتفريط بلا نزاع والخوض في التفسير لكل إنسان غلو وإفراط بلا جدال"[3].

وقد سلك الشيخ عبد الكريم المدرس– رحمه الله– في تأليف كتابه (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) منهج السلف والخلف في تفسير القرآن بالقرآن وبالأحاديث النبوية وبالآثار الثابتة المسندة من أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، ومن ثم فقد اكتسب تفسيره أهمية خاصة.

ولم يقتصر المدرس على الأثر في تفسيره بل كان للغة والنحو والبلاغة وأقوال المفسرين حظ وافر أيضاً؛ فكان يستخرج ما في الآية من حقائق ودلالات ولطائف

---

[1] وعلى قول الشيخ السايس بإلحاق تفسير التابعين بالتفسير بالمأثور تحفظ ، وهذا ما سأبينه في المبحث الثالث من هذا الفصل ــ إن شاء الله ــ

[2] السايس، محمد علي" تفسير آيات الأحكام"، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر: 2002/10/01، (5/1)

[3] الذهبي، محمد حسين: "التفسير والمفسرون"، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، طبعة (1424هـ– 2004م)(264/1)

وإشارات، ويزيل كل لبس وإشكال؛ فجاء تفسيره جامعاً للأثر والرأي، ويتبين الأثر ومنهج المدرس فيه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن :

المطلب الثاني:اهتمام المدرس بالسنة في تفسيره:

المطلب الثالث : إيراده أقوال الصحابة والتابعين:

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن :

كثيرٌ ممن كتب في علوم القرآن أدرج تفسر القرآن بالقرآن ضمن التفسير الأثري ، وفي هذا نظر؛ لأنه إن لم يتوفر في ذلك النقل فكان المفسر هو نفسه صاحب هذا الاستنباط والربط بين الآيات ؛ فلا سبيل إذاً لإدراجه ضمن التفسير الأثري ؛ لأن المأثور هو ما أثر عمن سلف ، ويطلق في الاصطلاح على ما أُثر عن النبي ﴿ﷺ﴾ والصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم.

فهل ينطبق هذا على تفسير القرآن بالقرآن؟

نعم يدخل إن كان المفسر به هو الرسول ﴿ﷺ﴾ ؛ ويكون من التفسير النبوي ، أو إن كان المفسر به هو الصحابي ؛ فله حكم تفسير الصحابي.

فلاعتبار جانب الأثر والنقل يدخل في التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، ولا يدخل إن كان المفسر به هو نفسه صاحب الاستنباط والبيان لمراد الله تعالى من خلال نصوص آياته .

وممن يرى هذا أستاذنا الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ، حيث قال : "إن التفسير بالمأثور الذي يتحقق فيه معنى المأثور في اللغة و الاصطلاح هو ما روي عن الرسول ﷺ ﴿ ﴾ ،أو الصحابة أو التابعين من روايات نقلية مروية في تفسير القرآن، واسمه الآخر يؤكد هذا المفهوم وهو التفسير النقلي الذي يقوم على نقل الأقوال والروايات عن السلف تفسير القرآن[2].

وتفسير القرآن بالقرآن هو: أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيأتي بما يزيله ويفسره[2] إما بعده مباشرة أو في موضع آخر وارد مورد البيان له مثل تفسير أولياء الله في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(يونس: ٦٢) بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٦٣)

(1) الخالدي: صلاح عبد الفتاح، "تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، دار القلم دمشق 1429هـ / 2008م، ص 148.

(2) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين:" معترك الأقران"، دار الكتب العلمية للنشر1988م،(273/1)

ومثال ما فسر في موضع آخر قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ (النحل: ١١٨)وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٤٦) . والمجال واسع أمام المفسر في هذا النوع من التفسير،قال الشيخ محمد حسين الذهبي:"والناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص. وما أُوجِزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يريد تفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجمْلاً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن."[1] ،وفي ما يلي بيان لقيمة وأهمية هذا اللون من التفسير، ومنهج المدرس فيه .

1 : قيمة تفسير القرآن بالقرآن : إن ما جاء من التفسير بالطريق الصحيح في هذا الباب هو تفسير ملزم ، لا يجوز تركه أو تقديم غيره عليه. قال صاحب أضواء البيان: "وقد أجمع العلماء على أنه أشرف أنواع التفسير إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله منه سبحانه ."[2]

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طريق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر."[3]

---

(1) انظر: "التفسير والمفسرون"(مصدر سابق) (ج31/1)

(2) "أضواء البيان"(مصدر سابق)(67/1)

(3) انظر ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني "مقدمة في أصول التفسير" ، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط 2، 1418هـ –1997م (ص 93 و95 و102.)

وتفسير القرآن بالقرآن حجة بلا إشكال، ولا اعتراض على أن تفسير القرآن بالقرآن يتصدر كل ألوان التفسير المختلفة ، قال أبو شهبة: "وإنما يأتي الغلط من المفسر ، بأن يفسر الشيء بما ليس بتفسير له عند التحقيق."[1]

وإنما كان تفسير القرآن بالقرآن أصح الطرق في التفسير؛ لأن فيه من التوثيق والصحة ما لا يوجد في غيره؛ لأن الكل كلام الله ؛ فلا يحتاج فيه إلى تصحيح أو تضعيف ، إلا ما كان من تقصير من المفسر نفسه .

والواقع أن تفسير القرآن بالقرآن ليس عملاً سهلاً ، فحتى يخوض المفسر هذا الميدان لابد له من حفظ القرآن الكريم، وقسط وافر من العلوم العقلية والأصولية ، وما يتعلق بعلوم القرآن من تاريخ النزول وغيره، فلا يتصور أن يخصص السابق اللاحق مثلاً ، ولابد له أيضاً من قوة الذاكرة وسرعة البديهة ، وبهذه الشروط يتمكن المفسر من مقابلة الآيات القرآنية , وربط المتشابهات ، وتكون له عونا على فهم ما جاء مطلقا وعاما ومجملا, فهو أثناء هذه العملية يعرف ويدرك أن هذه الآية عامة خصصتها الآية كذا, وأن تلك الآية مطلقة قيدتها الآية الأخرى.

2 : منهج المدرس في تفسير القرآن بالقرآن:

والمدرس جاء تفسيره مرصعاً بهذا النوع من التفسير، ويدل على ذلك استشهاده بالآيات الكريمة في مواضع مختلفة من تفسيره لبيان معنى ،أو الاستدلال على قضية ما ، ومن مزاياه العناية بهذا النمط من التفسير وقد جاء منهجه في تفسير القرآن بالقرآن كما يلي:

أولاً: تفسير المجمل بحمله على المبين:

فيستدل على ما جاء مجملاً في آية أوفي كلمة بما جاء مفصلاً في آيات أخرى ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٠)(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ) فصلنا بعضه عن بعض حتى يمكن العبور بين القسمين للأسباط الإثني عشر(فَأَنجَيْنَـٰكُمْ) من فرعون وجيشه من الغرق في النيل (وَأَغْرَقْنَآ)فيه(ءَالَ فِرْعَوْنَ)

[1]أبو شهبة، محمد بن محمد:" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، الناشر : مكتبة السنة الطبعة الرابعة ،(106/1)

ونفسه أمامهم (وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) إلى غرقهم بإطباق البحر عليهم . بيّن الباري تعالى ذلك في آيات أخرى فقال:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣)وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٧٧)قال تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ (الشعراء: ٦١ – ٦٦)وقوله:﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ (الدخان: ٢٤)أي ساكناً ثابتاً على حال انفلاقه حتى يدخل فيه فرعون وأتباعه.[1]

قام المدرس :هنا ببيان (النجاة) و(الغرق) المذكورين في الآية (50/البقرة) من خلال ما جاء في الآية(63/الشعراء)والآية(77/طه) والآية(24/الدخان) من التفصيل لكيفية (النجاة)و(الغرق) ، وهل هذا الصنيع من قبيل تفسير القرآن بالقرآن ؟ وجدت الإجابة عند صاحب كتاب التفسير والمفسرون للذهبي ، حيث قال : " فمن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُشرح ما جاء موجَزاً فى القرآن بما جاء فى موضع آخر مُسْهَباً، ومن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُحمل المجمَل على المبيَّن لِيُفسَّر به."[2] ، فما قام به المدرس إذاً من قبيل تفسير القرآن بالقرآن . كما وجدت أيضاً صاحب كتاب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن فسر الآية على نحو ما ذكرته من تفسير المدرس.[3]

ثانياً:إزالة التعارض الظاهر بين الآيات:

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (172/1)

[2] التفسير والمفسرون(مصدر سابق)(ج31/1)

[3] الشنقيطي:"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"(مصدر سابق) ،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،عام النشر : 1415 هـ – 1995 مـ (36/1)

فيجمع بين ما يتوهم أنه مختلف ، وذلك كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢)،(أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ) جمع ولي وهو القريب والمحب والنصير [1](لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من لحوق مكروه (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على فوت مطلوب. واستشكل بورود نصوص تدل على وجود الخوف والحزن للرسل الكرام الذين هم أكبر الأولياء كقوله تعالى:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (طه: ٦٧)،وقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(يوسف: ٨٦) وأجيب عنه بأنه ليس المراد بالخوف والحزن المنفيين الخوف والحزن الغريزيين اللذين يلزمان العقلاء ، ولا الخوف من الله تعالى الذي يلزم كل عبد صالح ، ولا الحزن من القصور في حق عبادته ، وإنما المراد أن أولياء الله تعالى محفوظون بفضل الله وعونه من الآثام والذنوب التي توجب الخوف يوم القيامة ، ومن القصور في أداء الواجبات وترك المحرمات التي توجب الحزن عليها.فهم في يوم القيامة يغشاهم الأمن والفرح من بشرى الملائكة لهم كما أن الناس الغافلين يغشاهم الخوف والحزن من مباشرة الآثام والمعاصي ، فهم على مقابلة لهم ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾(البقرة: ١٠٥) ، وعلى هذا يكون نفي الخوف والحزن عن الأولياء بالنسبة إلى يوم القيامة فقط لا في الدنيا أيضاً لأنهم بشر كسائر الناس.[2]

وما فسر به المدرس الخوف والحزن يوافق ما جاء في تفسير ابن كثير عند هذه الآية ،قال ابن كثير:"يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا: أنه { لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } [أي] فيما يستقبلون من أهوال القيامة، { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } على ما وراءهم في الدنيا."[3]

---

[1]انظر:"الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب:" القاموس المحيط"، ، (1732/1)

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (251/4)

[3] ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم (228/4)

وما قام به المدرس هنا ليس من قبيل النقل والرواية والأثر ، لكن أدرج في الباب لاعتبارين: **الأول:** أنه جمع بين معنى الآية من خلال آيات أخرى؛ وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن ، وإن احتوى شيئاً من النظر ؛ وفي هذا يقول الذهبي ــ رحمه الله ــ : " وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة."[1]

الثاني: أنه استعان بالقرآن على بيان المراد ، والقرآن أثر ورواية .

ثالثاً:الاستدلال بالقرآن على ما تبناه من قول أو رأي:

تبنى المدرس رحمه الله القول بعدم نبوة إخوة يوسف ، ويقول عند تفسيره لسورة يوسف ومما ينبغي أن يعلم هنا أن الذي عليه الأكثرون سلفاً وخلفاً أن إخوة يوسف ﴿عليه السلام﴾ ﴿لم يكونوا أنبياء أصلاً، وليس في القرآن الكريم ،ولا في ما روي عن النبي ﴿ﷺ﴾ ،ولا عن أحدٍ من أصحابه ﴿رضي الله عنهم﴾ أن الله تعالى نبأهم. والمراد (بالأسباط) في آيتي البقرة والنساء ذرية يعقوب ﴿ عليه السلام ﴾ لا أولاده من صلبه.وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(الأعراف: ١٥٩)،وقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾(الأعراف: ١٦٠)،صريح في أن المراد بالأسباط هم الأمم من بني إسرائيل من ذرية يعقوب لا أولاده من صلبه .وقد صرحوا بأن الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل ، وإنما سموا أسباطاً من عهد موسى ﴿ عليه السلام ﴾ ، ومما يؤيد ذلك أنه سبحانه وتعالى ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾(الأنعام: ٨٤)، ولم يذكر الأسباط. ولو كان إخوة يوسف قد نبئوا كما نبئ لذكروا كما

---

[1] انظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون (ج33/1)

ذكر.)[1] ، وما فعله المدرس هنا هو من تفسير القرآن بالقرآن، ويدخل في الأثر باعتبار أخذه من القرآن،على رأي من يدرج تفسير القرآن بالقرآن ضمن التفسير الأثري.

رابعاً : تخصيص العام : قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (البقرة: ٢٢١)، قال المدرس : "المراد بالمشركات ما عدا الكتابيات من اليهوديات والنصرانيات .وهن: الوثنيات ، والمجوسيات ، والملاحدة المعطلات اللاتي لا يعترفن برب العالمين . وأما الكتابيات ، وإن أسند إلى اليهود والنصارى الإشراك لكن شرف أصل الكتاب والإيمان به حسم تلك الوساخة . بدليل أن الله تعالى فرق بينهما بالعطف فقال : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٥) وقال:﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(البينة: ١) ففرق بينهم في اللفظ ، وظاهر العطف التغاير بين المتعاطفين وأيضاً فالمشركات عام قابل للتخصيص ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(المائدة: ٥) نصّ، وهو أقوى من العام فيتخصص به .فيجوز للمسلم[2] نكاح الكتابية قبل الإسلام ."[3]

ومثال آخر عن التخصيص :قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(البقرة: ٢٣٤)، قال المدرس:"وظاهر الآية عموم هذا الحكم للحوامل والحوائل،ولكنها

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(347،346/4)

[2] جاء في كتاب بداية المجتهد ونهاية لمقتصد (في الفقه المقارن): " واتفقوا على أنه يجوز أن ينكح الكتابية الحرة إلا ما روي في ذلك عن ابن عمر.انظر:بن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي "بداية المجتهد و نهاية المقتصد،"ط4 ،الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 139هــ/1975م

[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (388/1)

خصصت بقوله تعـــالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾(الطلاق: ٤)، فإن عدتهن بوضع الحمل ."

وفي مسألة عدة الحامل يقول ابن رشد :" أما الحامل التي يتوفى عنها زوجها فقال الجمهور وجميع فقهاء الأمصار عدتها أن تضع حملها مشيرا إلى عموم قوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾(الطلاق: ٤)، وإن كانت الآية في الطلاق وأخذا أيضا بحديث أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر وفيه: "فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: "قد حللت فانكحي من شئت "[(1)] وروى مالك عن ابن عباس أن عدتها آخر الأجلين يريد أنها تعتد بأبعد الأجلين إما الحمل وإما انقضاء العدة عدة الموت وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحجة لهم أن ذلك هو الذي يقتضيه الجمع بين عموم آية الحوامل وآية الوفاة."[(2)]

قلت : والراجح هنا ما عليه الجمهور لأن رواية مالك عن الصحابة مدفوعة بالحديث الصحيح ، كما هو عند البخاري (حديث سبيعة السابق ذكره) .

وما بينه المدرس من تخصيص عام القرآن بالقرآن يندرج ضمن تفسير القرآن بالقرآن ؛ قال الذهبي:"ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المُطْلَق على المُقَيَّد، والعام على الخاص"[(3)]

خامساً: تفسير القراءات القرآنية بعضها ببعض:لقد عمد المدرس إلى بعض الآيات القرآنية التي فيها أكثر من قراءة ؛ ففسر بعضها ببعض ، ومن الأمثلة على ذلك: قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤)، قال المدرس:(أي وعلى الذين يبلغون في الصيام نهاية طوقهم وطاقتهم لعسره عليهم أو

---

(1) انظر:"الجامع الصحيح"، محمد بن إسماعيل البخاري،الناشر : دار الشعب – القاهرة،الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987، كتاب بدئ الوحي ،(102/5)

(2) ابن رشد"بداية المجتهد و نهاية المقتصد" مصدر سابق.، (96/2)،

(3) التفسير والمفسرون(مصدر سابق) (ج32/1)

على الذين يسلبون طاقتهم عن الصوم أي لا يقدرون عليه حسب العادة فدية ، وهي : طعام مسكين مقدر بمدّ من الطعام عند الحجازيين ، ونصف صاع من بر عند الأئمة العراقيين الناشرين لأحكام الدين فيها كعبد الله بن مسعود وأشباهه . فمن تطوع خيراً فزاد في الفدية فهو خير له ، وأن تصوموا أيها الذين عسر عليكم فهو خير لكم من الفدية لأن الأصل خير من الفرع ، إن كنتم تعلمون ما في الصيام من الأجر عند العليم العلام ما تركتموه وأديتموه بالاهتمام. وإنما فسرت قوله تعالى: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ)على ما ذكرت موافقة للقراءات المروية الثابتة التي كلها نص في معنى المباشرة بالعسر والتكليف . فقد قُرئ يُطَوَّقونه على صيغة المجهول من باب التفعيل ، أي يُكَلَّفونه ويقلّدونه . كما قُرئ يطّوّقونَه على صيغة المعلوم من باب التفعيل ، وأصله يَتَطوّقونَه ؛ فقلبت التاء طاء وأدغمت الطاء في الطاء ومعناه يتكلفونه . وقُرئ (يُطَيِّقونه) بضم حرف المضارع وفتح الطاء المخففة وكسر الياء المشددة ، وأصله يُطَيقونه مثالَ يُبَيطرونه ، فالياء زائدة ، والفعل من الطوق ..."إلى أن يقول: "وهذه القراءات منقولة من ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾،وكلاهما يدل على معنى يتكلفونه وتتفق مع ما ذكرنا في تفسير (يُطِيقُونَهُۥ)من باب الإفعال.وتنطبق على الشيوخ والعجائز الضعاف حيث يكتفي منهما بالفدية وإن كان الصوم لمن صام منهما أحسن وأوفى.ولا داعي لتفسير(يُطِيقُونَهُۥ) بإطاقة الصيام بسهولة وتقدير حرف النفي عليه ،إذ تقدير حرف النفي عند بيان الأحكام ينفيه المعقول و المنقول"[1]

إن بيان المدرس لمعنى (يطيقونه) كان باعتماده على القراءات ، لكن حين تتبعت هذه القراءات وجدتها مخالفة لرسم المصحف ، فليست من القرآن في شيء ، قال القرطبي : وعن ابن عباس أيضا وعائشة وطاوس وعمرو بن دينار" يطوقونه" بفتح الياء وشد الطاء مفتوحة، وهي صواب في اللغة، لان الأصل يتطوقونه فأسكنت التاء وأدغمت في الطاء

---

[1]انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (329،328،327/1)

فصارت طاء مشددة، وليست من القرآن، خلافا لمن أثبتها قرآنا، وإنما هي قراءة على التفسير.[1]

المطلب الثاني :تفسير القرآن بالسنة :

قال الشيخ ابن تيمية :"فإن أعياك تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.."[2]

وجاء في تفسير ابن المنذر قوله: "إن أحسن طرق التفسير وأصحها، تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بكلام الصحابة، ثم بكلام التابعين، ثم الاجتهاد وبذل الوسع في معرفة المراد من كلام الله سبحانه، مع التدين الصادق، وسلامة الوجهة، وإخلاص القصد لله رب العالمين.[3]

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة: ١٩)

أي: بعد حفظه , وتلاوته نبينه لك ونوضحه, ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا. [4] ،

فالمطلوب من النبي(ﷺ)، إذن تبيين ما جاء في القرآن الكريم وتوضيحه للناس.

والمدرس من خلال النقاط التالية يظهر اهتمامه بضرورة التفسير بالمأثور أولاً ، إيماناً منه بأن أحسن طرق التفسير ما نقل إلينا بطريق صحيح ثابت عن النبي (ﷺ)، كما يرجح التفسير بالرأي أحياناً إن استلزم المقام ذلك.

أولاً : قيمة تفسير القرآن بالسنة:

إن تفسير القرآن بالسنة هو المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور ، وهو مصدر متفق عليه ،وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة ،كما دل على ذلك النظر الصحيح .

---

[1] انظر: القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين :"الجامع لأحكام القرآن "= "تفسير القرطبي" ،ط2 ،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ، 1384هـ – 1964 م (287/2)

[2] انظر: ابن تيمية: "مقدمة في أصول التفسير" مصدر سابق (ص93 و95 و102.)

[3] ابن المنذر، أبو بكر محمد النيسابوري" تفسير القرآن– تفسير ابن المنذر"، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد،النشر : دار المآثر – المدينة النبوية، الطبعة : الأولى 1423 هـ ، 200 م،(8/1)

[4] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة الثانية 1420هـ/1999م, ج 8 ص 278

فأما الكتاب: فقد قال تعالى مخاطباً نبيه (ﷺ): ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤) ؛ وهذا نص صريح في بيان الرسول للقرآن .

وأما السنة : فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[1] .

وعن معنى هذا الحديث قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني :[2]:"ومعنى قوله(ﷺ) : "لقد أوتيت الكتاب ومثله معه" أنه أوتي من الوحي غير المتلو مثل الوحي المتلو تبيانا له وتوضيحا ، وكل من عند الله ،قال تعالى :﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤) . وكذا قال علماء علوم القرآن[3].

وقال السيوطي : (قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ... فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له .

وقد قسّم الطبري رحمه الله التأويل إلى ثلاثة أقسام ، فجعل الأول ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول (ﷺ)، كالأوامر الإلهية ، والحقوق والحدود ، وما إلى ذلك مما

---

(1) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني "سنن أبي داود" كتاب السنة ، بابٌ في لزوم السنة 10/5 – 12 رقم [4604] ، دار الكتاب العربي - بيروت ، وأخرجه الترمذي في العلم حديث [2666] باب : ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي e ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني : صحيح كما في صحيح سنن أبي داود 871/3 رقم [3848] .ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند،وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات،(140/3)

(2) الزرقاني ، محمد عبد العظيم :"مناهل العرفان في علوم القرآن"، ط3، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه(62/2)

(3)انظر:الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر" البرهان في علوم القرآن" لمحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة : الأولى ، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (176/)، وانظر: السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين أبو الفضل ،"الإتقان في علوم القرآن"ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م.(467/2).

مرجع تفسيره وتبيينه الرسول صلى الله عليه وسلم، إما بنص منه، أو بدلالة قد نصبها دالة على تأويله[1].

فلا أحد ينكر المنزلة العالية للسنة في تفسير القرآن لكن لابد من الحذر في النقل والتأكد من صحة الرواية ، قال الزركشي :"لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:
الأول: النقل عن رسول الله ﴿ﷺ﴾،وهذا هو الطراز الأول لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير وإن سواد الأوراق سواد في القلب قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير، فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾(الأنعام: ٨٢) ،وتفسير الحساب اليسير بالعرض(رواهما البخاري)[2]

وتفسير القوة في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ (الأنفال: ٦٠) بالرمي ، (رواه مسلم)[3] "[4].

ثانياً : تفسير المدرس للآية بالحديث الشريف : عُني المدرس بالحديث عناية خاصة في تفسيره ، فتجده يسوق الحديث كلما اقتضى المقام ذلك ؛ مفسراً أو معضّداً أو مستشهداً أو محققاً في المسائل المختلفة. ومن تفسير المدرس للآية بالحديث: ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

---

[1] انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير "جامع البيان في تأويل القرآن " تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى,142:هــ/2000م. (56/1).

[2] انظر: "صحيح البخاري"، المسمى: الجامع الصحيح، الناشر: دار الشعب – القاهرة،الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987،(37/1)كتاب بدئ الوحي

[3] مسلم، بن الحجاج النيسابوري"صحيح مسلم" ، (52/6) باب فضل الرمي . دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـــ بيروت

[4] الزركشي: "البرهان في علوم القرآن"(مصدر سابق) (156/2)

قال المدرس: روى مسلم بن يسار الجهني :أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يسأل عنها فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال فقال رسول الله﴿ﷺ﴾ :إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار "[1]

وقال مقاتل : «إن اللَّه مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك.

ثم قال لهم : ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم ، فأهل القبول محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال ، وأرحام النساء. وقال تعالى في من نقض العهد الأول : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾(الأعراف: ١٠٢) ،وقال المدرس: وهذا

---

[1] الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي"الموطأ"، الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، باب النهي عن القول بالقدر،(898/2) ، ورواه الإمام أحمد في المسند ، وعلق عليه شعيب الأرنؤط بقوله "صحيح لغيره انظر:" مسند الإمام أحمد بن حنبل،الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة ، (44/1) ، وخرجه الحاكم في المستدرك ، وحكم عليه فقال: "هذا الحديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه" انظر: المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم =النيسابوري،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، 1411 – 1990،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (80/1)

الحديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ وكثير من المحدثين كما روينا عن مسلم بن يسار ﴿رضي الله عنه﴾.فهذا الحديث الشريف يكون تفسيراً للآية الكريمة .[1]

والمدرس هنا لم يشر إلى الفرق التي أنكرت هذا التفسير الذي عليه جمهور أهل السنة ، كالمعتزلة وغيرهم ، وقد أورد الرازي هذه الآراء وما قامت عليه من حجج في تفسيره مفاتيح الغيب عند هذه الآية.[2]

ثالثاً:منهجه في التعليق على الأحاديث التي يوردها في تفسيره:

كان منهج المدرس في تتبع الأحاديث وبيان الكتب التي خرجتها والحكم عليها كما يلي:

أ- **تخريج الحديث وتتبع المصادر التي أخرجته:** ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف: ٥) ، قال المدرس[3]: روي عن جابر ﴿رضي الله عنه﴾ فقال : أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت ، فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: إذا أخبرتك فهل تسلم ؟ قال: نعم.قال: جَرِيّان ،والطّارق ، والذّيال، وقابس، وعمودان ، والفَيلق، والمِصبح ، والضّروح، والفرغ، ووثاب ، وذو الكتفين .رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له. فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها . وهذا الحديث وإن أنكره أبو زرعة وابن الجوزي ،وقال إنه منكر موضوع ، لكن قال الحاكم :إنه صحيح على شرط مسلم .[4]

ب- **بيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف** :ومنه ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾(القيامة: ٣٤ – ٣٥)،قال المدرس :" أي أولى لك

---

[1]انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (53/4)
[2]انظر: الرازي ، مفاتيح الغيب (398/15)
[3] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (343/4)
[4] وقد خرج هذا الحديث البيهقي في دلائل النبوة ، باب جماع أبواب أسئلة اليهود وغيرهم ونصه :(عن جابر بن عبد الله قال أتى النبي رجل يقال له بستاني اليهودي فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف عليه السلام أنها ساجدة له ما أسماؤها قال فلم يجبه رسول الله بشيء فنزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره فبعث نبي الله إلى اليهودي فلما جاءه قال وأنت لتسلم إن أخبرتك قال نعم فقال النبي حرثان أو قال حرثال وطارق والذيال وذو الكنفات وذو القرع ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصبح والفيلق والضياء والنور رآها في أفق السماء أنها ساجدة له =فلما قص يوسف رؤياه على يعقوب قال له هذا أمر متشتت يجمعه الله من بعد فقال اليهودي هذه والله أسماؤها)، (277/6) الناشر : دار الكتب العلمية ــ ودار الريان للتراث ،الطبعة : الأولى 1408 هــ / 1988 م

الهلاك من النجاة فأولى لك هذا من ذاك ، ثم أولى لك فأولى .   عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما { أولى لك فأولى } أشيء قاله رسول الله (ﷺ) أو شيء أنزله الله ؟ قال: قاله رسول الله (ﷺ) ثم أنزله الله [1] أخرجه النسائي والحاكم وصححه." [2]

رابعاً:منهجه في الاستدلال بالحديث النبوي:

لما كان الحديث النبوي هو المصدر الثاني من مصادر التفسير جاء تفسير المدرس مشتملاً على الكثير من حديث المصطفى(ﷺ)

ولا شك في أن جمع حديث النبي (ﷺ) إلى النص القرآني الذي يتفق معه في المعنى يعطي الصورة الواضحة للآية ويزيل كل إشكال فتطمئن النفس. وقد جاء استشهاد المدرس بالحديث النبوي محققاً لكثير من الأغراض منها:

أ- الاستدلال بالحديث لتوضيح معنى الآية:

قال تعالى:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾(النساء: ٨٦)، قال المدرس [3] بعد تفسيره لهذه الآية : ثم إن المراد بأحسن أنه إذا قال المسلّم : السلام عليكم تقول في جوابه : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإذا زاد المسلم ورحمة الله تزيد في الجواب وبركاته ، وإذا زاد وبركاته لا يبقى مجال للرد بالأحسن بل رده بمثله . وروي أن رجلاً قال لرسول الله (ﷺ) السلام عليكم فقال: (وعليك السلام ورحمة الله . وقال آخر : السلام عليك ورحمة الله ، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وقال آخر : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك . فقال الرجل : نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية ؟ فقال (ﷺ) : إنك لم تترك فضلاً فرددت عليك مثله).

وبعد البحث في كتب الحديث لم أجد هذا الحديث في الصحاح، لكن وجدت حديثاً قريباً منه عند البيهقي، قال : " أخبرنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال حدثنا يزيد قال: حدثنا خالد

---

[1] انظر:المستدرك على الصحيحين ،باب تفسير سورة القيامة (554/2)، و السنن الكبر للنسائي،تحقيق : حسن عبد المُنعم حسن شلبي(321/10).

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (443/7)

[3] انظر: المصدر السابق(21/3)

عن أبي تميمة عن رجل قال: قلت: السلام عليك يا رسول الله قال : السلام عليك تحية الموتى؛ إذا لقيت أخاك المؤمن فقل السلام عليك ورحمة الله وبركاته"[1].

ب- الاستدلال بالحديث في المسائل الفقهية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾(النساء:٢٣)،

قال المدرس[2] :ومثلهما في الحرمة بالرضاع البنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت .قال ﴿ﷺ﴾ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة وابن عباس﴿رضي الله عنهما﴾(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)[3].

د- إزالة التعارض الظاهر بين الأحاديث: والمدرس وهو يستدل بالحديث لا يقف موقف الناقل فقط بل يبحث في متن الحديث ، فإذا خالف نصوصاً أخرى صحيحة ، فإنه يعمد إلى إزالة هذا التعارض ، ومحاولة التوفيق والجمع بين النصوص. فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١١٥)، قال: عن ابن عمر ﴿رضي الله عنه﴾ أنه قال: كان النبي ﴿ﷺ﴾ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به وهو ذاهب من مكة إلى المدينة ، ثم قرأ ابن عمر هذه الآية . وقال في هذا أنزلت .أخرجه مسلم والترمذي والنسائي[4] . وقال ابن عمر أيضاً أنزلت (فأينما تولوا فثمّ وجه الله) أن تصلي

---

[1] انظر: "سنن النسائي الكبرى، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1991، (88/6)"

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (359/2)

[3] انظر: صحيح البخاري المسمى: الجامع الصحيح ، الناشر : دار الشعب – القاهرة،الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987،(222/3) كتاب بدئ الوحي.ورواه الترمذي في السنن من حديث علي، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب(450/3)،(قال أبو عيسى حديث علي حسن صحيح والعلم على هذا عند عامة أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم لا نعلم بينهم في ذلك اختلافا).

[4] رواه مسلم في صحيحه في باب جواز صلاة النافلة على الدابة (151/2) ، لناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـــ بيروت. رواه الترمذي في سننه في باب سورة البقرة وقال حديث حسن صحيح (205/5) الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. ورواه

حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع أخرجه الحاكم . وقال صحيح على شرط مسلم .
وعن ابن عباس﴿ﷺ﴾ أنها نزلت في صلاة الرسول ﴿ﷺ﴾ على النجاشي ملك الحبشة حين أخبره جبريل﴿ عليه السلام ﴾ بوفاته وجمع الصحابة للصلاة عليه فاستبعد بعضٌ الصلاةَ عليه ولا يعلم كيف حاله وأنه يصلي إلى بيت المقدس ونحن نصلي إلى الكعبة فنزلت .وكانت الواقعة بعد تحويل القبلة إلى الكعبة الشريفة .

وعن جابر بن عبد الله﴿ﷺ﴾ أن رسول الله﴿ﷺ﴾ كان يصلي على راحلته قِبَل المشرق ، فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل واستقبل القبلة [1]. وهناك رواية أنها نزلت في صلاة الفرض إلى غير جهة القبلة فيخطئ المصلّي فإن صلاته صحيحة كما عليه الأئمة الثلاثة ، لكنها ليست قوية عند المحدثين . نعم إذا كان الخطأ غير معين كما لو صلّى لأربع جهات بأربع اجتهادات فإن صلاته صحيحة ولا قضاء هناك. [2]

وهذا من الناحية العملية نادر الوقوع.

المطلب الثالث : إيراده لأقوال الصحابة والتابعين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، وفي الرجوع إلى أقوال التابعين روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه، وقد حكوا في كتبهم أقوالهم...وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة، ولعل اختلاف الرواية عن أحمد إنما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم."[3]

والمدرس في تفسيره أورد الكثير مما ينقل عن الصحابة والتابعين في التفسير ، والنقاط التالية تبين منهجه في ذلك.

أولاً : قيمة تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :

=النسائي في سننه في باب الحال التي يجوز فيها استقبال غير القبلة (244/1)، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية ،حلب ،الطبعة الثانية ، 1406 – 1986

[1] رواه البيهقي في سننه في باب النزول للمكتوبة،(6/2)،الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ،الطبعة : الطبعة : الأولى ــ 1344 هــ
[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (241/1)
[3] انظر: البرهان في علوم القرآن(156/2–160).

ليس كل ما يروى عن الصحابة والتابعين في التفسير يكون ملزماً ويدخل ضمن التفسير بالمأثور، والعلماء وضعوا قيوداً لذلك.

أ/ **شرط قبول تفسير الصحابي:** حتى يدخل تفسير الصحابي ضمن دائرة التفسير بالمأثور ، ويأخذ به في فهم الآيات ؛لابد من شرطين ذكرهما العلامة الحافظ ابن حجر[1]

أولهما: أن يكون الصحابي غير معروف بأخذه عن أهل الكتاب، يسلم تفسيره من أي شبهة.

ثانيهما: أن يكون الذي رواه مما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول، ونحوها من الأمور الغيبية، كأحوال القيامة الجنة النار...الخ. وهذا كله لا يستطيع الصحابي أي يعمل فيه عقله.

ويرى الأستاذ الدكتور فضل عباس ــ رحمه الله ــ وهو يتحدث عن حدود التفسير الأثري أن التفسير بالمأثور هو: "ما صح عن النبي ﷺ أو كان له حكم المرفوع مما رو ي عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويشمل هذا أسباب النزول." [2] ؛ فهو يقيد ما يرويه الصحابي بأن يكون مشتملا على سبب النزول؛ لأنه مما لا مجال للرأي فيه فيكون صحيحا وأما ما روي عن الصحابة والتابعين مما هو اجتهاد منهم، فيدخل ضمن دائرة التفسير بالرأي مثل بعض الروايات التي رويت عن ابن عباس.

ب/ **موقف العلماء من تفسير التابعي:** واختلف العلماء في تفسير التابعي من حيث الاحتجاج أيضا، فمنهم من يراه صالحاً للأخذ به ،ومنهم من لا يأخذ به ولا يعتبره حجة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: "وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير"[3]

---

[1]انظر: العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد أحمد بن حجر، "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، تحقيق عبد الله الرحيلي، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الأولى، ص 132.

[2]انظر: عباس: فضل حسن، "التفسير أساسياته واتجاهاته"، مكتبة دنديس، عمان 1426هـ/2005م، ص 184

[3] ابن تيمية "مقدمة في أصول التفسير"مصدر سابق ، ص 101

وقال الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني: "وأما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف بين العلماء: منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالباً ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي."[1]

وقد علل الشيخ محمد حسين الذهبي لدخول تفسير التابعي في المأثور بقوله: "وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما روي عن التابعين وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي؟ لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ما ذكر مما روي عن النبي(ﷺ) ،وما روي عن الصحابة ، بل ضمنت ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير".

فالواقع أننا نرى اختلافاً بين المفسرين في قيمة هذا التفسير أو مدى إلزامه للمفسر، ولعل الراجح بالنسبة للتفسير المأثور عن التابعين أن ما أجمعوا عليه حجة، وأن ما اختلفوا فيه ليس بحجة على من خالفهم، ثم يُنظر إلى من أثر عنه فإن كان ممن يأخذ عن أهل الكتاب فلا يعتمد عليه وإن كان ممن لا يأخذ عنهم فتُعتبر أقوالهم، والله تعالى أعلم.[2]

ثانياً: ذكره لأقوال الصحابة والتابعين عند تفسيره للآية:

إن المتأمل في تفسير المدرس يجد نقله لتفسير الكثير من آيات القرآن عن بعض الصحابة ، حيث كان ينقل أقوالهم في بيان ما أجمل من مفردات الآيات ، وكذلك في بيان أسباب النزول وغيرها من المسائل المختلفة ، ونمثل لذلك بما ذكره المدرس من تفسير الصحابة والتابعين للمحكم والمتشابه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران: ٧)

---

[1] الزرقاني: "مناهل العرفان" مصدر سابق (1213/2)

[2] مقدمة تفسير ابن كثير(1/41) ، وانظر:ابن تيمية "مجموع الفتاوي" تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار ، دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م(13/ 198-199)

قال المدرس:" فانقسم العلماء في تفسير اللفظين(المحكم والمتشابه)على آراء ،فقال ابن عباس(رضي الله عنه):المحكمات هو قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأنعام: ١٥١)إلى ثلاث آيات.وقوله في بني إسرائيل :﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٣)، قال أيضاً:المحكمات: ناسخه ،وحرامه،وفرائضه ،وما يؤمن به ،ويعمل به.والمتشابهات:المنسوخات ، ومقدمه ومؤخره، وأمثاله وإقسامه .

وقال ابن مسعود : المحكمات الناسخات . والمتشابهات المنسوخات.

وقال جابر بن عبد الله: المحكمات من آي القرآن :ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره . والمتشابه : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه."[1]

ثالثاً: منهجه في التعليق على الأقوال التي يذكرها للصحابة والتابعين

أ/ يذكر الأقوال وينسبها إلى قائلها: غالبا ما ينسب المدرس القول لصاحبه ، كما نلاحظ في المثال السابق ــ المحكم والمتشابه .

ب/ قد يذكر القول ولا يذكر قائله:

قال تعالى:﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (غافر: ١٥)، قال المدرس:وقوله:(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ)خبر لمبتدأ محذوف أي هو رفيع الدرجات أي درجات صعود ملائكته من الأرض إلى السموات فإلى الع رش. وقيل درجات ثوابه لأهل طاعته من أنبيائه إلى أوليائه إلى صلحاء عباده ، فهناك درجات ، وكل قوم واقع على درجة ، وكل شخص متصف بمقام خاص كما قالت الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾(الصافات ١٦٤)،وقيل معناه:رفيع الصفات ،وقيل معناه:رفيع الدرجات أي له درجات لعباده في معرفة ذاته وصفاته ، فمنهم من يعرفه بوجوه واعتبارات وضيعة حسب مستواه العلمي ، ومنهم من يعرفه بشؤون أعلى من ذلك ، فمثله كمثل جوهر معدني

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (142/2)

له آثار وصفات خاصة مختلفة لا يعرفها إلا المتخصصون بها. وقيل: إنه عالي الجاه ومرتفع المقام ، ومن العباد إليه مقامات معنوية كثيرة لا تتناهى ولا يمكن طيها ، فغاية ما يصل إليه العبد هو العرش .[1]

ونلاحظ مما تقدم بيانه أن المدرس لم ينسب هذه الأقوال إلى قائلها .

ربعاً : منهجه في الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين :

-1- قد يكتفي بالنقل دون التعقب :قال تعالى:﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ (القلم: ١٣ – ١٤) يقــول المدرس: وهذا الرجل كان اسمه وليد ابن المغيرة ، يقال أنه تبناه وألحقه بنفسه ، ولكن الذي يظهر حسب التاريخ أنه ولد على فراش أبيه. وروي أنه لما نزلت الآية قال لأمه : إن محمداً وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها ، فإن لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك . فقالت له:إن أباك عنين [2] فخفت على المال، فمكنت الراعي من نفسي فأنت منه، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية."[3]

وهذا التفسير من المدرس للزنيم مخالف لما في صحيح البخاري ؛ جاء في الصحيح : باب: (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ). "عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ) قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَنَمَةٌ مِثْلُ زَنَمَةِ الشَّاةِ."[4]

وهذا القول الذي نقله المدرس في تفسيره ، والذي لم ينسبه لقائله ، يتنافى مع ما تقرر في الأصول، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

-2- النقل مع النقد: ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥١)، قال المدرس:"وكان لذلك العجل

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (10/7)
[2] العنين: هو من لا يقدر على الجماع لمرض أو كبر سن أو يصل إلى الثيب دون البكر، انظر : الجرجاني، علي بن محمد: " التعريفات"، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1405 (204/1)
[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (381/7)
[4] الجامع الصحيح المسمى:صحيح البخاري ، كتاب بدئ الوحي(197/6)

خوار وحركات . فمن العلماء من يقول : إنه كان عجلاً له حياة حقيقية لأن السامري ذرّ عليه عند الصياغة مقداراً من التراب الذي أخذه من موطئ حوافر فرس جبريل ، فخلق الله فيه الحياة ولا استحالة في ذلك ويكون بالنسبة إلى السامري فتنة واستدراجاً.وهذا رأي الحسن .

وأما الجمهور فقالوا : لم تكن فيه الحياة وإنما كان على شكل العجل ،وكان خواره من دقة صناعة السامري حيث جعل في رأسه منافذ تفتح وتصوت كأصوات الساعات الصناعية .

وأما ماحكاه الباري سبحانه من كلام السامري في معذرته لموسى﴿ عليه السلام ﴾:

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾(طه: ٩٦) يعني أنه لما خرج الإسرائيليون من مصر رأى السامريّ على دعواه خيّالاً على فرس كلما وضع الحوافر على محلّ ورفعها اخضرّ وهز فيه نبات ، فتفرس السامريّ أن الخيال جبريل ، وأن هذا الأثر من قدسيته ،فقبض قبضةً من التراب الواقع تحت حوافر فرسه ، ولما صاغ العجل ذرّ من ذلك التراب مقداراً على فم العجل فظهرت فيه الحياة بأمر الله تعالى .فلم يذكره الباري سبحانه وتعالى على سبيل التقدير ، وإنما حكاه عن السامريّ في الاعتذار لموسى عليه السلام ، والاعتبار بالتقدير والعناية لا بالنقل والحكاية. فإن الله تعالى حكى عن الشيطان قوله﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (الأعراف: ١٢)، أي من آدم، مع أن الشيطان شقي مطرود وآدم نبيّ مسعود .

وفي الواقع إن السامريّ لم ير الخيال ولا الفرس ، ولا أخذ التراب تحت قدميه وكان كلامه كله كذباً، وأراد به التلبيس على موسى ﴿ عليه السلام ﴾ ، فلم يذكر أن الصوت كان من أثر أعمالي الصناعية بل ذكر ماحكاه الله تعالى عنه حتى يشتبه موسى ويقبل منه عذره وأنى له ذلك ؟ فإن أصحاب الانتباه بعيدون عن الاشتباه ،...إلى أن يقول: ويؤيد رأي الجمهور ما ذكره الباري تعالى من قوله :﴿ جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ (الأعراف: ١٤٨) بدلاً من

العجل والبدل هو المقصود بالنسبة ،وذلك شاهد صدق على أن العجل المصنوع لم يكن عجلاً، وإنما كان شيئاً على صورته .[1]

والواقع أن رأي الجمهور أولى بالتقديم .

والأمثلة على نقده للأقوال المنقولة في التفسير عن الصحابة والتابعين متعددة[2].

خامساً :موقفه عند تعدد أقوال الصحابة والتابعين :

-أ- ذكر الأقوال من دون تعقيب : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(الأعراف: ١٤٥)، قال المدرس [3] بعد تفسيره لهذه الآية :واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها. أما عددها فقيل :إنه كانت عشرة ،وقيل سبعة ، وقيل لوحين .وأما جوهرها فقيل: إنه من سدر الجنة . وأما مقدارها فكان اثني عشر ذراعاً .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي(ﷺ) أنه قال : (الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً)[4].

-ب- ذكر الأقوال والترجيح بينها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ما وَلَّىٰهُمْ عَن قبلتهم ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢)، قال المدرس:"وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري : أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي(ﷺ)يتوجه إليها في الصلاة وهو بمكة . فقال ابن عباس وغيره (رضي الله عنهم) :كان يصلي إلى بيت المقدس .وقال آخرون : كان يصلي إلى بيت المقدس لكنه لا يستدبر الكعبة

---

[1]انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (176،175/1)
[2]انظر: المصدر السابق (96/1) .
[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(28،27/4)
[4]انظر: تفسير ابن أبى حاتم، دار النشر : المكتبة العصرية – صيدا،تحقيق : أسعد محمد الطيب،(1563/5)، ولم أجد هذا الحديث في كتب الحديث .

بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس . وأطلق آخرون أنه كان يصلي إلى الكعبة فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس ، وهو ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين والأول أصح لأنه يجمع بين القولين وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) وكأن البخاري أراد الإشارة إلى الجزم بالأصح من أن الصلاة لما كانت عند البيت كانت إلى بيت المقدس ." [1]

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (280/1)

المبحث الثاني : منهج المدرس في التفسير بالرأي:

"التفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد ، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر "[1] وقد بين الدكتور محمد حسين الذهبي ــ رحمه الله ــ القدر المقبول من هذا النوع من التفسير ، والمردود منه والمذموم في كتابه التفسير والمفسرون ، وفصل في الموضوع .[2]

وقد ذكرت في المباحث السابقة من هذا الفصل أن الأساس الذي اعتمده المدرس في التفسير يقوم على تفسير القرآن بالقرآن وبما ثبت عن النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين ، فإن لم يجد في هذه المصادر تفسيراً للآية أو اقتضى السياق بياناً أكثر لجأ إلى الاجتهاد وإعمال العقل لبيان مراد الله تعالى ؛ معتمداً على القواعد المقررة في الموضوع ، بعيداً عن العصبية والهوى .

ولما كان المدرس بارعاً في العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية والعقلية جاء تفسيره متكاملاً ، مشتملاً على فنون متنوعة ، فمن الإجحاف أن أصنفه ضمن نوع محدد في التفسير، إلا أن الفقه أخذ الحظ الأوفر.

والمدرس على الرغم من اعتماده الأثر في بيان معنى الآية ، لكنه يذكر معاني أخرى لا تتعارض مع الأثر ، وينبه على أنها مرادة أيضاً . ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى:﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، قال المدرس: "فمدلولها بالإجمال المستفاد من المضاف إليه قسمان : الأول عبارة عن الذين خرجوا عن الدين بعد علمهم به أي كفروا به ، وتمردوا على العمل به ، واستمروا في تمردهم وعنادهم ، وأثاروا نار الفتنة العمياء إزاء الحنيفية البيضاء ، وتهالكوا وتظاهروا في إيذاء صاحب الإسلام وأهله ، ودبروا تخطيطات جهنمية لإمحائه واستئصاله كالمعاندين له من عصر إلى يومنا هذا ولا يزالون يسعون لتمزيق أمة الإسلام وتفريقها وتبعيدها عن المثل العليا ، وعن عزة الدنيا.

---

[1] الذهبي ، التفسير والمفسرون (255/1)

[2] ولمخافة التطويل في بسط هذه المسألة هنا ، فلينظر الموضوع في التفسير والمفسرون للذهبي (255/1–265)

فلا شك أن غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا. ويلتحق بهم المسلمون المنحرفون عن الحق والصواب ، المحرفون لنصوص السنة والكتاب ، والمؤوّلون لها بغير صواب مع علمهم بعنادهم وفسادهم . وإذا نصحتهم أخذتهم العزة بالإثم علاوة على أعمالهم السيئة .أو الطغاة البغاة على الأنفس والأعراض والأموال كيف يتمكنون ويتسع لهم المجال ولا شبهة أنهم في ركاب المغضوبين الأولين.

والقسم الثاني الضالُّون عن طريق الرّشاد ممن وصلتهم رسالة الحق والإسلام ولكنهم لم يعملوا بها وسلكوا مسالك أرباب الهوى من أحبارهم وكبرائهم الضالّين فأضلُّوهم. أو المسلمون الضعاف النفوس الذين استمروا على أعمال فاسدة حسب التقاليد والأوهام الباطلة، وهم عليها مرحون وبها فرحون.

وتفسير الأول باليهود ، والثاني بالنصارى وارد . ولكن المفهوم أعمّ، والكفر ملة واحدة "[1]

وهكذا فإن المدرس يرى أن اللفظ القرآني يحتمل وجوهاً كثيرة من المعاني ، فمتى ما أمكن الجمع بين المنقول والمعقول فإنه يحمل النظم القرآني عليهما.

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(87،86/1)

المبحث الثالث: موقف المدرس من الإسرائيليات

قبل استعراض موقف المدرس من الإسرائيليات لا بد من توضيح المراد من هذا المصطلح، والمنابع الأصلية لها، وما موقف أهل العلم منها.

أما معنى الإسرائيليات: فهي جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب﴿ عليه السلام ﴾ . جاء في تاج العروس:(ويَعْقُوب اسْمُه إِسْرَائِيل ، أَبو يُوسُفَ الصِّدِّيق عَلَيْهِمَا السَّلَام).[1]

والإسرائيليات عند علماء التفسير والحديث هي: (كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما.)[2]

المطلب الأول: تسرب الإسرائيليات ودخولها في التفسير ومسائله

فقد بدأ دخول الإسرائيليات في التفسير، في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن، والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل. وكما هو معلوم فإن الرجوع إلى أهل الكتاب، كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابي إذا مَرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد مَن يجيبه عن سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.[3]

إلاّ أن الصحابة- رضوان الله عنهم- لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، وفي الوقت نفسه لم يقبلوا منهم كل شيء، كما أنهم لم يخرجوا عن الدائرة التي حددها لهم رسول الله﴿ﷺ﴾.

---

[1] الزبيدي،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق "تاج العروس من جواهرالقاموس"،الناشر:دارالهداية،(404/3)

[2] الذهبي، محمد حسين: "الإسرائيليات في التفسير والحديث "، ،مكتبة وهبة،ط 4، سنة:1411هـ/1990م،(12/1)، وانظر التفسير والمفسرون(165/1)، وانظر:أبو شهبة، محمد بن محمد: " الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" الناشر: مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، (11/1-12)

[3] المصدر السابق(ج125/1)

فقد قال: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾الآية "[1]

وكذلك قوله: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ، ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار."[2]

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا أهل الكتاب في الأمور العقدية،

أما التابعون فقد توسَّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة مَن دخل مِنْ أهل الكتاب في الإسلام، إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فَوُجِد من المفسِّرين مَنْ حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.[3]

وأما حكم روايتها:

فإن كانت مما يقرره الإسلام قبلناها وإن كانت مما يرده رددناها وإن كانت مما سكت عنه سكتنا عنها

المطلب الثاني: موقف المدرس من الإسرائيليات :

لقد كان موقف المدرس من الإسرائيليات موقف المنتبه الحذر، فنجده عند تفسيره للآيات التي يسوق حولها بعض المفسرين روايات إسرائيلية يسلك مسلكين هما:

أ / **التنبيه عليها وتفنيدها وبيان خطورتها.** فمثلاً عند قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ

[1] "صحيح البخاري"في كتاب التفسير باب: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، رقم : 4485(ج25/6)
[2] "صحيح البخاري" باب: ما ذكر عن بني إسرائيل(207/4)، رقم الحديث: 3461
[3] انظر الذهبي:"التفسير والمفسرون"(ج126/1–127–128)

أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٠٢، فيقول المدرس: (وهذان المَلَكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس؛ فمن تعلم وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان . وقيل : إنه كان للتمييز بين السحر والمعجزة ؛ حيث كثر السحر في ذلك الزمان ، وأظهر السحرة أموراً غريبة وقع الشك بها في النبوة ، فبعث الله الملكين لتعليم أبواب السحر حتى يزيلا الشبه . أي حتى يعلم الناس أن السحر علم اكتسابي ، وكل إنسان قادر عليه خيِّراً كان أو شريراً ، وإن المعجزة نعمة وهبية يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ولا تظهر إلا على المختار من العباد المخلصين . قيل : كان ذلك في زمن إدريس ﴿ عليه السلام ﴾ في البيضاوي. قيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملِكين بالكسر.

وما يروى من الحكايات فمن الأباطيل ؛ لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.) [1]

ب / **عدم روايتها** : الملاحظ في تفسير المدرس الابتعاد عن الروايات الإسرائيلية سواء ذلك الذي يقدح في الأنبياء والرسل ، أو غيره .قال تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧، يقول المدرس [2] وهو بصدد الحديث عن عصمة الأنبياء وتنظيف ساحتهم من الإسرائيليات بعدما فسر هذه الآية : (فما نسب إلى حضراتهم مما يوهم خلاف العصمة على ما ذكرناإن كان من أخبار الآحاد فمردود ، وإن كان من غيرها فمؤول بصدورها بطريق الخطأ الاجتهادي ، أو السهو ، أو النسيان ،أو أنها كانت خلاف الأولى وجرى عليها عتاب.كما بين الأحباب. أو أنها كانت قبل النبوة بناء على أن العصمة قبل النبوة غير لازمة كما ينسب إلى سيدنا آدم﴿ عليه السلام ﴾ ؛ لأن الراجح أنه لم يكن نبياً قبل الهبوط إلى الأرض والأمر والنهي المتوجهان إليه كانا ع لى العادة كما تكلم الباري مع الملائكة في تطبيق الأمور وإنزال الأوامر ... على أنه إذا لم يكن شرع ودستور فلا ذنب فكيف يعد ذنباً قضاء موسى على الرجل القبطي الصائل على مسكين من المساكين ؟ وإن كان دفع الصائل واجباً لكنه بحسب الشرع ولم يكن إذ ذاك شرع كما هو معلوم!) [3]

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (231،230/1)
[2] المصدر السابق (148/1)
[3] المصدر السابق (146/1)

الفصل الرابع: منهج المدرس في قضايا علوم القرآن

ويضم الباحث التالية

المبحث الأول: أسباب النزول

المبحث الثاني : المكي والمدني

المبحث الثالث: إعجاز القرآن

الفصل الرابع: منهج المدرس في قضايا علوم القرآن

تمهيد:

يعني هذا المركب الإضافي "علوم القرآن " المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وكتابته وكل ما يعين على توضيح كلام الله تعالى.[1]

لذلك نجد أكثر المفسرين قديماً وحديثاً وضعوا مقدمات لتفاسيرهم تعنى بهذه العلوم، مثل مقدمة الإمام الطبري ، وابن عطية ،وابن عاشور، والشنقيطي... وغيرهم. لما لها من أثر كبير في تجلية معاني الكتاب العزيز وإظهار أسراره وشريف أغراضه .

والمدرس رحمه الله استهل تفسيره بمقدمة مطولة أورد فيها كثير ا من تلك المسائل، وسأذكر بعضا منها مع بيان رأيه فيها.

واختلف في تحديد هذه العلوم ، فقد أوصلها الإمام السيوطي إلى ثمانين علماً، وقال رحمه الله (فهذه الثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة)[2] .

ويقول المدرس عند الحديث عن هذه العلوم : (ولنقدم على المقصود أموراً مهمة ينبغي للمسلم الاطلاع عليها)[3].

ومن المباحث التي تناولها في كتابه: أسباب النزول، والمكي والمدني ، إعجاز القرآن

---

[1] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (23/1)
[2] السيوطي"الإتقان في علوم القرآن" مصدر سابق (30/1)
[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (6/1)

المبحث الأول: أسباب النزول

من القضايا المهمة التي لها العلاقة بعلم التفسير أسباب النزول, ويقتضي المقام هنا أن أبين بإيجاز شديد، ما معنى هذا العلم، وما أهميته، وما الشروط التي لا بد منها لقبوله.

أما معنى سبب النزول فهو: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، مبينة لحكمه أيام وقوعه، مثل أن تقع حادثة في زمن النبي(ﷺ) أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال. فيقال بعد ذلك في هذه الآية أو الآيات سبب نزولها هكذا..."[1]

والحقيقة أن العلم بأسباب نزول الآيات ومعرفة ذلك جملة وتفصيلا أمر في غاية الأهمية للمتخصص في علوم القرآن عامة ومن رام تفسير نصوصه على وجه الخصوص، لما يترتب على ذلك من كشف الإبهام الذي يحيط بكثير من النصوص القرآنية التي ترتبط بالقصة وسبب النزول [2] ولا تعلم إلا بمعرفته ،والطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح والسماع والرواية عن الصحابة رضوان الله عليهم.

يقول ابن تيمية[3]: " ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية, فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب."[4]

---

[1] الزرقاني: "مناهل العرفان"(ج1/106)

[2] ذلك لأن كثيرا من الآيات يتوقف بيانها على القصة وسبب النزول لأنه ليست كل الآيات لها سبب النزول . أنظر: ابن الجزري ومنهجه في التفسير (ج1/411)

[3] : ابن تيمية: الإمام المجتهد، شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد ابن عبد الحميد بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ولد بحران سنة 661ه،ومات 728هـ،أنظر ابن عماد، شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي " شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ط1، دار الفكر 1399هـ(ج6/80)

[4] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، "مقدمة في أصول التفسير""، تحقيق: محمود محمد محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.(ص60).

ويرى الواحدي أنه لا يمكن معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[1].

والطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح- والسماع والرواية- عن الصحابة رضي الله عنهم وليس للاجتهاد العقلي والرأي فيه أي مجال.

وأما الشروط الواجب توافرها لقبول سبب النزول:

أن تكون هذه الرواية صحيحة، وسلامة الدراية ، ويقصد بها عدم مناقضة المتن لقواعد النقل والعقل، وكذلك السياق الذي قيلت فيه تلك الرواية، حيث إن له دورا مهما في قبول السبب أو رده[2].

فمتى اجتمعت هذه الدعائم حكم على السبب بالصحة, وحيثما اختل ركن منها حكم عليه بالضعف.

وبعد هذه المقدمة الموجزة أتحدث عن منهج الشيخ في إيراد أسباب النزول، و التي حظيت باهتمام المدرس, ولقيت عناية بارزة عنده. فكان لا يمر بآية ولها سبب نزول إلا ويتعرض لذكره، وإذا كان لها أكثر من سبب ذكره ؛ لما لها من أهمية بالغة في تجلية معاني القرآن الكريم.

وسأذكر أمثلة من تفسيره توضح كيف كان الشيخ يتعامل مع أسباب النزول.

1. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٨٤)، قال الشيخ:" روي عن ابن عمر أنه لما توفى عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين؟ قال: "إنما خيرني

---

[1]الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري, "أسباب النزول", تحقيق طارق الطنطاوي, مكتبة القرآن/ القاهرة, ص9.

[2]عباس:فضل حسن، "إتقان البرهان في علوم القرآن" دار الفرقان, عمان الطبعة الأولى 1997م(ج316/1)

الله" فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٨٠)، وسأزيده على السبعين . قال:إنه منافق، فصلى عليه فأنزل الآية فترك الصلاة عليهم، ثم قال المدرس: أخرجه الشيخان" [1]

نلاحظ أن الشيخ قد أعطى الموضوع حقه, فقد ذكر الحديث, وذكر مصادره .

وقد أنكر بعضُ العلماء هذا الحديث، وقالوا إنه مخالف للآية، ولا أرى في هذا الحديث ما يخالف الآية, إذا كان الحديث من أسباب النزول, والحديث صحيح لا مجال للطعن فيه, ويكفي أنه موجود في صحيح البخاري, الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله.

2. عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤)

قال المدرس: "الآية نزلت في قتلى بدر مِنَ المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلاً ؛ ثمانية مِنْ الأنصار ، وستة مِنَ المهاجرين ؛ وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يُقتل في سبيل الله : مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها. فأنزل الله هذه الآية."[1]

ثم قال المدرس مفسرا ذلك: " أي لا تقولوا في شأنهم وبيان الأسف على فقدهم أنهم أموات فإنهم ليسوا أمواتا بل أحياءٌ.

نلاحظ أن الشيخ قد ذكر الحديث بدون إسناد, ولم يشر إلى أسماء رجال الأنصار والمهاجرين.

3. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٤٩ – ٥٠)

---

[1] انظر: مواهب الرحمن(ج294/1)، وانظر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، "العجاب في بيان الأسباب" الناشر : دار إبن الجوزي – الدمام ، الطبعة الأولى ، 1997، تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس(ج203/1)

قال المدرس: عن ابن عباس قال: اجتمع قوم من أحبار اليهود منهم كعب بن أسد، وعبد الله بن صوريا، وشاس، وقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد – صلى الله عليه وسلم– لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر. فجاءوه، فقالوا: يا مُحَمَّد ، قد عرفت أنّا أحبار اليهود وأشرافهم ، وأنّا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولن يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومٍ خصومةٌ ونُحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ، ونحن نؤمن بك ونصدقك. فأبى ذَلِكَ رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم – فأنزل الله تعالى فيهم الآيتين. رواه ابن إسحاق والبيهقي وابن أبي حاتم(1)

ثم قام المدرس بشرح الآية وفق ما جاء في أسباب نزولها فقال: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم ﴾ عطف على الكتاب، يعني وأنزلنا إليك الكتاب والأمر بالحكم بينـــهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾لا بما تهوى أنفسهم الفتانة ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾في أي حكم من الأحكام﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ مما يخالف أهواءهم فإن الحق أحق أن يتبع ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ وأعرضوا عن حكمك بما أنزل إليك وأرادوا غيره ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ ﴾ يعني فاعلم أنهم كافرون ولهم ذنوب كثيرة عدا كفرهم وإن الإعراض عن حكمك ذنب آخر أضافوه إليها.(2)

4.عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: ٣)

وقد ذكر المدرس في أسباب نزولها عدة روايات منها:

ما روي من أنه ﷺ اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون قرينك تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فنزلت.

---

(1) مواهب الرحمن في تفسير القرآن(3/157–158)، وانظر أسباب النزول،مصدر سابق (132)
(2) انظر: المصدر السابق (3/158)

والمدرس لم يحكم على الرواية لكنها صحيحة موجودة في البخاري ومسلم.[1]

5.عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة:1)

قال المدرس:(عن ابن إسحاق قال:" كان أمية ابن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم همزه ولمزه فأنزل الله فيه هذه السورة. أخرجه ابن المنذر[2] ، ثمّ قال: وفي بعض الآثار: إنّ هذه السورة نزلت في أمية بن خلف وفي بعضها في الأخنس بن شريق، وفي بعضها في جميل بن عامر الجمحي.)[3]

فنلاحظ هنا أنّ المدرس لا يرجح سبب نزول على الآخر، بل كان يكتفي بذكرها فقط.

والظاهر أنّ هذه الآية نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا ، وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك[4]

6. تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الإسراء85)

قال المدرس: أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود– رضي الله عنه– قال:" كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه و سلم في حرث بالمدينة وهو يتك ئ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض:سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه.فسألوه فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكئا على العسيب، فظننت أنه يوحى إليه فلما نزل الوحي قال:

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾"[5]

---

[1] البخاري "الجامع الصحيح" باب تفسير سورة الضحى(213/6) رقم الحديث: 4950، وأخرجه مسلم في صحيحه باب: ما لقي النبي من أذى المشركين(182/5) رقم الحديث: 4758

[2] السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين أبو الفضل " **لباب النقول في أسباب النزول**"، دار الهجرة، دار النمير، بيروت الطبعة الأولى,1410هـ/1990م. (234)

[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(561/7)

[4] وهو قول قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء انظر القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن"(ج15/3)

[5] "الجامع الصحيح"كتاب التفسير ، رقم الحديث: 7297 (ج119/9)، وأخرجه مسلم في باب : سؤال اليهود عن الروح، رقم الحديث: 7237(ج128/8)، وانظر: الواحدي، "أسباب النزول"(197)

ثمّ قال: وفي السير عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أنّ قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقال لهم: سلوهم محمدا، فإنهم أهل كتاب عندهم من العلم ما ليس عندنا فخرجا، حتى قدما المدينة فسلوهم. فقالوا: سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فجا ؤا فسألوه فبين لهم (ﷺ) القضيتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة.

7. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥)

قال في سبب نزولها: "أنها نزلت في علي – رضي الله عنه – حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه[1]"

أقول: إن هذه الرواية رواية ضعيفة واهية ، وقد قال ابن تيمية عن هذا الحديث: إنه موضوع باتفاق العلماء. [2]

8. عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (التوبة: ٧٥)

قال المدرس:" الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب ويقال له ابن أبي حاطب وليس هو البدري لأنه قد استشهد في أحد – رضي الله عنه – أخرج الطبراني والبيهقي في الدلائل، وابن المنذر وغيرهم عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة ابن أبي حاطب إلى رسول الله ﷺقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً, قال: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه, فراجعه فقال : والذي بعثك بالحق نبياً لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه, فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود وضاقت بها المدينة ونزل وادياً حتى انقطع

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(ج168/4)

[2] "انظر: ابن تيمية مقدمة في أصول التفسير (36)، وقال ابن كثير عن روايات هذا الحديث: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها انظر تفسير القرآن العظيم: لإبن كثير(ج139/3)"

عن الجمعة والجماعة ، فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ فقال: ويح ثعلبة, وبعث رسول الله ﷺمصدقين لأخذ الصدقة, فاستقبلهما الناس بصدقاتهم, ومرًّا بثعلبة وسألاه الزكاة, وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه الفرائض: فقال ما هذه إلاَّ جزية, ما هذه إلا أخت الجزية, وبخل بالصدقة, فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه: يا ويح ثعلبة مرتين, فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال رسول الله ﷺ إن الله منعني أن أقبل منك, فجعل التراب على رأسه فقال ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني, ثم قبض ﷺ وما قبل من ثعلبة وجاء بها إلى أبي بكر ولم يقبلها , وقبض أبو بكر وجاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها, وهلك في زمن عثمان. [1] "[2]

إن هذه القصة لا تصح, ولا يصلح معها دليل قوي قائم, فقد ضعفها غير واحد من العلماء, بالرغم من اشتهارها عند المفسرين, قال العلامة القرطبي رحمه الله, بعد أن ذكر القصة بطولها: قلت: وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان, فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر[3]: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم.

وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين؛ نبتل بن الحارث, وجد بن قيس, ومعتب بن قشير[4].

وقال ابن حزم في المحلى بعد أن ذكر الآية: وهذه أيضا صفة أوردها الله تعالى, يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه, وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه, على أنه

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(ج172/4-174)

[2]ذكره الحافظ العراقي في"تخريج الأحياء "أنّ سنده ضعيف انظر الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية – بيروت- (ج135/3).

[3] يقصد القرطبي: ابن عبد البر الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة , مولده في سنة ثمان وستين وثلاث مئة في شهر ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى, مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر "سير أعلام النبلاء", الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, تحقيق محب الدين العمراوي, دار الفكر بيروت, الطبعة الأولى 1417هـ/1997م.ج13ص524, 527.

[4] "الجامع لأحكام القرآن" مرجع سابق , ج 10ص308, و انظر الزركشي: محمد بن عبدالله بن بهادر(1421هـ – 2000) "البحر المحيط في أصول الفقه", ط1، تحقيق محمد محمد تامر, دار الكتب العلمية, بيروت, ج1ص319.

قد روينا أثرا لا يصح وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب, وهذا باطل؛ لأن ثعلبة بدري معروف[1].

وقال البيهقي في شعب الإيمان: وفي إسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور فيما بين أهل التفسير والله أعلم[2], وممن ضعف هذه الرواية السيوطي في أسباب النزول أيضا[3].

ويظهر أن الراجح في تفسير الآية, والله تعالى أعلم, كما ذكر الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره, قال: "حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (التوبة: ٧٥)، قال: هؤلاء صنف من المنافقين، فلما آتاهم ذلك بخلوا به، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقًا إلى يوم يلقونه، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة"[4].

وعليه وبعد سرد أقوال العلماء في ردهم هذه الرواية, فإنني أقول إن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب بريء من هذا الكلام الذي لا يعدو أن يكون مجرد شبهة وتهمة ألصقت به ونسبت إليه ظلما وزورا, وحسبه ويكفيه شرفا وفضلا أنه داخل في عموم قوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه {لعل الله اطلع إلى أهل بدر, فقال : اعملوا ما شئتم, فقد وجبت لكم الجنة, أو فقد غفرت لكم}[5]

فالصواب أنها لم تنزل في ثعلبة بن حاطب ولا في غيره من المسلمين[6].

وبعد استعراضي لهذه الأمثلة نخلص إلى ما يلي :

---

[1] ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري , "الإيصال في المحلى بالآثار", تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري, دار الفكر بيروت, ج12ص137.

[2] أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني"شعب الإيمان", حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه : مختار أحمد الندوي ، الطبعة : الأولى ، 1423 هـ - 2003 م، باب الإيفاء بالعقود, ج6ص198 برقم 4048. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند

[3] السيوطي: " لباب النقول في أسباب النزول" ص197.

[4] انظر:"جامع البيان", ج14ص 375.

[5] "صحيح البخاري": كتاب المغازي, باب الإيفاء بالعقود ج6ص198 برقم 4048.

[6] كنعان، محمد أحمد"(1984) قرة العينين على تفسير الجلالين"ط 1، المكتب الإسلامي– بيروت (ص256)

1. أن المدرس في أغلب الأحيان لا يرجح سبب نزول على الآخر، بل كان يكتفي بذكرها فقط.
2. ذكره في أغلب الأحيان الأقوال مجردة من الإسناد, ودون الإشارة إلى مصادرها
3. ذكره لبعض الروايات الواهية ثم يتعقبها بالرد أحياناً

المبحث الثاني

المكي والمدني

المطلب الأول: ضبط مصطلح المكي والمدني:لقد ذكر المدرس في تفسيره [1]ما قاله أهل العلم من اصطلاحات للمكي والمدني معقباً عليها مبيناً الصواب منها وهي :

الأول: إنّ المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في كل في مكة والمدينة ضواحيها.

ثمّ قال: وهذا لوحظ فيه مكان النزول كما ترى، لكنه غير حاصر لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيها.

الثاني: إنّ المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

ثمّ قال المدرس معلقا على ما سبق: وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى، لكنه يرد عليه أمران:

أحدهما: ما ورد على الأول على أنّه غير ضابط فإنه فيه ما ورد غير مصدّر بأحدهما نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ (الأحزاب: ١)، والثاني: أنّ هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين إذ هناك آيات مدنيّة صدرت بصيغة (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) وآيات مكية صدرت بصيغة (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ).

ثمّ ذكر المدرس أمثلة على ما سبق فقال: فمثال الأولى: سورة النساء؛ فإنها مدنية وأولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ومثال الثانية سورة الحج؛ فإنها مكية مع أنّ في أواخرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ...﴾

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(1/43-44)

الثالث: وهو المشهور أنّ المكي ما نزل قبل هجرته ﷺ إلى المدينة – إن كان نزوله بغير مكة – والمدني ما نزل بعد الهجرة – وإن كان نزوله بمكة–

وهذا الذي يراه المدرس ــ رحمه الله ــ مقرراً ما ذهب إليه أهل الفضل والعلم من الجهابذة.

ذلك أن هذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول, وهو تقسيم صحيح سليم, لأنه ضابط حاصر, و مُطَّرِد لا يختلف بخلاف سابقيه, ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم, , وعليه فآية﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣), مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع, وكذلك آية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾(النساء: ٥٨)، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم, وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره – عليه الصلاة والسلام – كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر, فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور.[1]

والواضح أن المدرس قد عرض لموضوع المكي والمدني, لكنه لم يفصل فيه التفصيل الذي فصلته لنا كتب علوم القرآن, بل اقتصر على تبيين المكي والمدني في بداية كل السور عند شروعه في تفسيرها, وأما الآيات فلم يذكر لنا مكيها ومدنيها.

حدد في أول كل سورة نوعها إن كانت مكية أو مدنية, وعدد آياتها, وذلك كله قبل الشروع في تفسيرها، ولم يخض في مسائل السور المختلف فيها.

المطلب الثاني:رأي المدرس في المكي والمدني:

وفي ما يلي جداول توضيحية للمكي والمدني بحسب رأي المدرس:

---

(1) "مناهل العرفان", مصدر سابق , الجزء الأول ص 183.

أولا: المدني الخالص:

البقرة	الحج	الحجرات	الصف	التحريم
النساء	النور	الحديد	الجمعة	الإنسان
الأنفال	الأحزاب	المجادلة	المنافقون	البينة
التوبة	محمد	الحشر	التغابن	الزلزلة
الرعد	الفتح	الممتحنة	الطلاق	النصر

والحقيقة أن هذه السور التي رأى الشيخ بأنها مدنية خالصة, ليست كلها كذلك, فإن بعضا منها قد اختلفوا فيه. سأذكر على سبيل المثال:

1-سورة الرعد:

اختلفوا في مكيتها ومدنيتها,والصحيح أنها مكية،وقد استثنوا من مكيتها آيات:﴿ **كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ** ﴾ (الرعد:٣٠)،وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ** ﴾ (الرعد: ٣١), والآية الأخيرة﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا** ﴾(لرعد: ٤٣). وكل هذا سياق مكي, يظهر ذلك بأدنى تأمل وتدبر.[1]

2- سورة الحج: مختلف فيها، قال السيوطي:" سورة الحج فإنها مدنية ما عدا أربع آيات منها تبتدئ بقوله سبحانه ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ** ﴾ **الحج: ٥٢ إلى قوله** ﴿ **عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾ الحج: ٥٥."[2]

[1] عباس ، فضل"اتقان البرهان"(388/1)
[2] "مناهل العرفان في علوم القرآن" مصدر سابق (199/1)

3- سورة الزلزلة: اختلف فيها، والصحيح مكيتها. [1].

ثانيا: المكي الخالص

آل عمران	النمل	الجاثية	القيامة	الضحى
الأنعام	القصص	الأحقاف	النبأ	الشرح
يونس	العنكبوت	ق	النازعات	التين
هود	الروم	الذاريات	عبس	العلق
يوسف	لقمان	الطور	التكوير	القدر
إبراهيم	السجدة	النجم	الانفطار	العاديات
الحجر	سبأ	القمر	المطففين	القارعة
النحل	فاطر	الرحمن	الانشقاق	التكاثر
الإسراء	يس	الواقعة	البروج	الهمزة
الكهف	الصافات	الملك	الطارق	الفيل
مريم	ص	القلم	الأعلى	قريش
طه	الزمر	الحاقة	الغاشية	الكوثر
الأنبياء	غافر	المعارج	الفجر	الكافرون
المؤمنون	الشورى	نوح	البلد	المسد
الفرقان	الزخرف	الجن	الشمس	الإخلاص
الشعراء	الدخان	المدثر	الليل	

---

[1] عباس ، فضل:"إتقان البرهان" (1/ 388, 401, 405)

والواقع أن هذه السور التي رأى الشيخ بأنها مكية خالصة, ليست كلها كذلك, فإن بعضا منها قد اختلفوا فيه. وسأذكر على سبيل المثال:

1- سورة المطففين:

حكم عليها المدرس وقال أنّها مكية، فهي كذلك إلاّ ست آيات من أولها.

قال الدكتور فضل: اختلف فيها، فقيل مكية، وقيل مدنية, والذي يترجح مكيتها – والله أعلم – لكنها من أواخر ما نزل في مكة؛ ذلك لأن موضوع السورة لا يبعد عن الموضوعات المكية، أما ما قيل: إن أهل المدينة كانوا يطففون المكيال قبل الهجرة، فإن هذا القول يمكن أن يرد؛ لأنه بحاجة إلى إثبات أولاً، ولأنه قد ورد في السور المكية ما يشبه هذا الموضوع من الوفاء بالكيل، والوزن بالقسطاس في أكثر من أية، لذا رجح مكية السورة الكريمة.

2- **سورة الكوثر** الصواب أنها مدنية ، ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس قال: بينما رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال : أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها .[1] ، قال الدكتور فضل: سورة الكوثر مختلف فيها، والصواب عندي أنها مكية والله أعلم [2]

ثالثا: المكي وبعضه مدني

السـورة	المستثنى من المكي
الأعراف	من الآية (163) إلى الآية (170)
المزمل	الآية (10) و(11) و(20)
المرسلات	الآية (48)
الماعون	ثلاث آيات الأولى منها

---

[1] "الإتقان في علوم القرآن" مصدر سابق(ج 46/1)، والحديث أخرجه مسلم في باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، رقم الحديث: 921(ج12/2)

[2]عباس، فضل" اتقان البرهان"(403/1)

وأما الذي ذكره الشيخ هنا {في المكي وبعضه مدني}, فغير دقيق, وسأذكر على سبيل المثال سورة الأعراف ، فقد ناقش هذا الكلام الدكتور فضل كله بإحكام, حيث قال:

وأما **سورة الأعراف:** فمكية بإجماع, واستثنى بعضهم: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ (الأعراف: ١٦٣). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٧٢). وهو استثناء لا دليل عليه, وما يقال إن قوله سبحانه:(وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ)حديث عن اليهود, وأن أخبارهم كانت في مكة؟ يجاب عنه, بأن الآية متصلة اتصالا تاما بما قبلها, من حديث عن بني إسرائيل واتخاذهم العجل, وغير ذلك من معاصيهم.

رابعا: المدني وبعضه مكي [(1)]

السـورة	المستثنى من المدني
المائدة	إلاّ قوله تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم)**

وهذا هو القول الراجح لدى العلماء

خامسا: المختلف فيه [(2)]

الفاتحة	الفلق	الناس

هنا اكتفى المدرس بذكر أنّ هذه السور مختلف فيها ولم يذكر الراجح فيها.

أقول: وأما المعوذتان, فقد اختلف فيهما: قيل بمكيتهما, وقيل مدنيتان, ويرجح الأكثرون , القول الثاني[(3)].

[(1)]انظر: مواهب الرحمن (25/3)

[(2)]المصدر السابق: (581،579/7)

أما بالنسبة لسورة الفاتحة فقد اختلف فيها قال الزركشي :" ففاتحة الكتاب قال ابن عباس ، والضحاك، ومقاتل وعطاء، إنها مكية، وقال مجاهد مدنية."[1]

والذي أراه ما قاله السيوطي في الإتقان:" سورة الفاتحة الأكثرون على أنها مكية بل ورد أنها أول ما نزل، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(الحجر/87)، وقد فسرها بالفاتحة كما في الصحيح"[2][3]

وفي الأخير وبعد مناقشتي لبعض هذه المسائل لاحظت أنّ الشيخ لا يخوض كثيرا في مسائل المكي والمدني بل يذكر القول الراجح منها فقط.

ولمعرفة المكي والمدني فوائد كثيرة أشار المدرس إلى بعضها في تفسيره فقال:"ومن فوائد معرفة المكي والمدني : تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفاً للحكم في غيرها ، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني ، فإنا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظراً إلى تأخر المدني عن المكي.

ومن فوائده أيضاً : معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام ، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في ترتيب الشعوب والأفراد. "[4]

---

(3) عباس، فضل "إتقان البرهان", (405/1)

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن(ج194/1)

(2) السيوطي: "الإتقان في علوم القرآن" (ج41/1)

(3) سنن النسائي (139/2) الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،الطبعة الثانية ، 1406 – 1986تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

(4) مواهب الرحمن في تفسير القرآن(44/1)

المبحث الثالث

إعجاز القرآن

مما لا شك فيه أنّ موضوع إعجاز القرآن شيق ثري. وفيه روائع إيمانية. وقد ثبت بالاتفاق أنّ معجزة نبينا ﷺ هي معجزة القرآن الكريم، فهو معجز في أسلوبه، وتركيبه، معجز في أخباره وقصصه، معجز في أحكامه، معجز في وعده ووعيده، معجز في تأثيره النفسي... وقبل استعراض وجوه الإعجاز عند المدرس ،لا بد من توضيح المراد من المعجزة وبيان معنى إعجاز القرآن (بإيجاز)

تعريف المعجزة

المعجزة لغة: قال ابن فارس[1]:ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجزْت عن طلبه وإدراكه.

والمراد بالمعجزة اصطلاحاً : هي "أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله "[2]

وأما معنى إعجاز القرآن فهو: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، والتعجيز ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه ، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول (ﷺ) الذي جاء به رسول صدق ، وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز. [3]

المطلب الأول :وجوه الإعجاز عند المدرّس

لقد تناول الشيخ هذا الموضوع من زوايا عديدة، ومقاييس متميزة، وتحدث عن الإعجاز في أكثر من مناسبة، فحاول أولاً إماطة اللثام عن أقل ما يقع به التحدي في كتاب الله. فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا "معجم مقاييس اللغة" ، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م.، (234/4)

[2] علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات، تحقيق:إبراهيم الأبياري، الناشر : دار الكتاب،العربي – بيروت،الطبعة الأولى ، 1405.

[3] انظر:" الإتقان في علوم القرآن "، مصدر سابق (231/2)

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣ - ٢٤)

يقول المدرس [1]:(الريب في الأصل قلق النفس ،والمراد الشك . وهو هنا نكرة واقعة في سياق الشرط فتعم كل فرد من أفراده من أي صنف كان . وقوله:(مِّمَّا نَزَّلْنَا) من باب التفعيل للتكثير في مرات النزول ، ويشمل كل نجم من نجومه قصيرة أو طويلة . وربط الفعل بذاته والإتيان بضمير الجمع للدلالة على أنا إذا فعلنا شيئاً أتقناه . ولا يصدر منا عمل غير متقن لاسيما إذا كان العمل تنزيلاً لكتاب يكون أفضل الكتب.

وذكر الرسول بعنوان العبد وإضافته إلى نفسه إشارة إلى أن الذات الذي نزل عليه الكتاب لما كان متصفاً بالعبودية الخالصة لله وهي أرقى مراقي الإنسان ، وعبوديته عبارة عن اختصاصه به وانقطاعه عما سواه ، وحاصله :أنه اختارني للربوبية فاخترته للعبودية . وقوله : (فَأْتُواْ)أي كلكم وكل من له قابلية الإتيان كائناً من كان وقوله: (بِسُورَةٍ) أي أية سورة كانت .وقوله: (مِّن مِّثْلِهِۦ) صفة لها ، والضمير راجع إلى ما . أي فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا على عبدنا . وقوله: (شُهَدَآءَكُم) أي الحاضرون، أو المعينون لكم. وقوله : (مِّن دُونِ ٱللَّهِ) متعلق بادعوا أي ادعوا غير الله تعالى من حضركم للمعارضة وقوله: (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أي في أنه من كلام البشر .)

ثم قال المدرس [2]: (وحاصل المعنى : أيها الناس اعترفوا برسالة رسولنا محمد ، واجعلوا الكلام الذي أنزلنا عليه دليلاً على صدقه في دعواه ، لأنه كلام لا يعارَض ، ولا يُؤتى بمثله ، وإن كنتم في شك مما نزلنا عليه وتظنون أنه كلامه أو كلام غيره كجنّ ألهمه أو إنسان علمه فأتوا بسورة كائنة من مثل ذلك الكتاب في حيازته الفصاحة والبلاغة

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (1/116،115)

(2)انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(1/117–118)

، وكشفه ما في الأرض والسموات وإخباره عن المغيبات ، واعتداله ، وصدقه ، ومغايرة أسلوبه ، ودعوة العالم إلى صلاح المعاش والمعاد ،والتخلق بالهدى والرشاد. وعارضوه إن كنتم تقدرون على المعارضة وادعوا شهداءكم غير الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولم تأتوا بمثله ولاشك أنكم لن تفعلوه أنتم وشهداؤكم إلى الأبد فاعلموا أنه منزل من الله على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين . ولا تكفروا به واتقوا النار التي وقودها الناس المعذبون والحجارة من الأصنام التي كانوا يعبدونها ، أو حجارة الكبريت لقوة اشتعالها وشدة لهيبها ، أو مطلق الحجارة لصلابتها ، لأن قوة الوَقود على حسب شدة الوقود ، وأعدت وهيّئت ، وخلقت تلك النار لتعذيب الكافرين المتمردين الخاسرين . أعاذنا الله من أحوالها.

ثم اعلم أنه قد ثبت عند المنصفين من أهل البلاغة والأدب الرائع أن القرآن الكريم معجزة ببنائه وبيانه ، ولم يعارضه أحد منذ نزوله إلى الآن ، ولو عارضه أحد لنقل تواتراً لتوفر الدواعي على نقله ، وقد ذكر العلماء في سر إعجازه أموراً كثيرة . ومنها:
أحدها: أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات، مثل وصف بعير، أو فرس ، أو جارية أو ،مِلك ، أو ضربة أو طعنة، أو وصف حرب ،أو وصف غارة، وليس في القرآن من هذه الأشياء شيء. فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم.

وثانيها : أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب في جميعه، وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيداً ، ألا ترى أن لبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت ، لما أسلما نزل شعرهما ولم يكن شعرهما الإسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي وأن الله تعالى مع ما تنزه عن الكذب والمجازفة جاء بالقرآن فصيحاً كما ترى.

وثالثها: أن الكلام الفصيح والشعر الفصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين والباقي لا يكون كذلك. وليس كذلك القرآن؛ لأنه كله فصيح بحيث يعجز الخلق عنه، كما عجزوا عن جملته.[1]

---

[1] انظر: الفخر الرازي مفاتيح الغيب (107/2)

وبعد أن ساق المدرس– رحمه الله– هذه الوجوه وقد نقلها بنصها من التفسير الكبير للرازي علّق عليها بقوله: (قلت : وكلٌّ من هذه الوجوه التي ذكرها الإمام الرازي رحمه الله تعالى حق حقيق بالقبول ، وحقيقة سرّ تلك الوجوه أن الكلام صفة المتكلم ، وكل متكلم فله طاقات محدودة والقرآن الكريم كلام الباري تعالى ، وللباري تعالى قدرة شاملة لانهاية لها،فأيّ موضوع يتصور ويذكر فالباري تعالى عالم به وبملابساته ، وله الكلام النفسي الذي يتحمل التعبيرات اللا متناهية بالوجوه اللا متناهية .)[1]

والذي يلاحظ أن المدرس لم يحصر إعجاز القرآن في زاوية البيان فقط بل اعتبره معجزاً بكل ما فيه ، من الإخبار بالغيب، والتشريعات، والكون ، والاجتماع، ونظام الحكم...، وهذا القول أولى بالقبول.

المطلب الثاني : القدر المعجز من القرآن: أما عن القدر الذي كان فيه القرآن معجزاً فيقول المدرس– وهو يصف القرآن– : (وأنه كلام الله وحده ، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﴿ ﷺ ﴾، ولا كلام مخلوق سواه . وبيان ذلك : أنا نقرأ القرآن الكريم من أوله إلى آخره . فإذا هو مُحكم السّرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب ، قوي الاتصال ، آخذ بعضه برقاب بعض ، في سوره، وآياته، وجمله ، يجري فيه روح الإعجاز من ألفه إلى يائه كأنه سبيكةٌ واحدة ، أو هيكل إنسان واحد جميل ، جليل القدر ، متناسب الأجزاء والأعضاء ، مبيّن آيات كونية علوية وسفلية ، برية وبحرية ، بحيث يعجز عن فهمها بكمال أكمل أرباب الفنون والصناعات . وذلك كله بوجه صالح للدراسة ، وصادق بحسب التأمّل السليم ، وباعتدال تام على الصّراط المستقيم.)[2]

والواقع أن المدرس في تفسيره لم يتعرض إلى الإعجاز العلمي في آية بخصوصها ، وإنما ذكر كلاما عاما فيه إشارة إلى كل أنواع الإعجاز[3]

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (120،119/1)
[2] انظر: المصدر السابق(15،14/1)
[3] انظر : المصدر السابق (120،119/1)

الفصل الخامس: منهج المدرس في علوم العربية

المبحث الأول: النحو

المبحث الثاني: الصرف

المبحث الثالث: البلاغة

المبحث الرابع:البلاغة

الفصل الخامس: منهج المدرس في علوم العربية

تمهيد

إن علوم العربية تأتي على رأس الشروط التي يجب توفرها في المفسر، إذ لا بد للمفسر من التمكن منها ، والإحاطة بدقائقها؛إذ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، فكيف يقتحم باب التفسير من لا دراية له بمسائل النحو والصرف والبلاغة وغيرها !!.

وهذا ما أقره العلماء المحققون ، أن من شروط المفسر: " العلم باللغة العربية وفروعها ؛ لأن فهم القرآن يتوقف على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالِمًا بلغات العرب[1].

والمدرس في تفسيره اهتم اهتماماً بالغاً بعلوم العربية ، ولا غرابة في ذلك فقد كان نحوياً لغوياً أديباً ، فقد ألف في علوم العربية مؤلفات عدة منها: كتاب الصرف الواضح، وكتاب مفتاح الآداب في النحو [2] وكتاب رسائل العرفان في النحو والصرف والوضع والبيان[3] ، شرح فيه علوم العربية ، ووقف على المسائل الدقيقة منها وبينها .

وهذه العناية البالغة بعلوم العربية سمة بارزة في تفسير المدرس ، ولا ضير بعد هذا إن صنف تفسير المدرس ضمن الاتجاه اللغوي والبياني في التفسير، دون أن يقلل هذا من شأنه في الفقه والعقيدة ،فهو في الحقيقة موسوعة شاملة. والمباحث التالية تبين مدى عنايته بعلوم العربية ، والغوص في دقائقها ، وتوظيف ذلك في بيان كلام الله عز وجل .

---

(1) انظر: بعض العلماء الذين اشترطوا التفسير بفهم قواعد اللغة :الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(478/2) ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي(160/2) ، وروي البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس قال " أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا " شعب الأيمان للبيهقي (543/3)

(2) انظر: مؤلفات الشيخ المدرس في كتابه :علماؤنا في خدمة العلم والدين ، ص331

(3) الكتاب متداول طبعته : الدار العربية–بغداد ، الطبعة الأولى سنة: (1398هـ–1978م)

المبحث الأول: اللغة

إن البحث اللغوي شكل جانبا مهما في تفسير المدرس ، وكان يهدف من خلاله الكشف عن أسرار لغة القرآن ودقائقها، وسأعرض – إن شاء الله تعالى – لدراسة الجانب اللغوي عنده من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان معاني الألفاظ

لقد اهتم المدرس– رحمه الله – بمفردات القرآن الكريم اهتماماً بالغاً،فقد كان في تفسيره يبين مفردات القرآن بدقة ويتوسع أحياناً في ذلك ، ويذكر التطور التاريخي للمفردة ، وعلاقاتها بمثيلاتها , معتمداً على أرباب هذه الصنعة ، أمثال الخليل وسيبويه والراغب والفراء وأبي عبيد وقطرب والزجاج وغيرهم ، وكان منهجه في بيان معاني ألفاظ القرآن كما يلي :

1/ بيان المعاني المختلفة للكلمة في اللغة وعلاقة هذه المعاني بالسياق :

ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً:بيانه لمعنى التبدل في قوله:تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم: ٤٨) ، قال المدرس[1]: أي وتبدل السموات غير السموات . والتبديل قد يكون في الذات كما في: بدلنا الدراهم دنانير . وقد يكون في الصفات كما في: بدلت الحلقة خاتماً إذا غيرت شكلها. والآية الكريمة ليست بنص في واحد منهما . وروي عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أنه قال تبدل الأرض أي يزاد فيها وينقص منها ، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وأشجارها وما فيها ، وتُمَدّ مَدّ الأديم العكاظي [2] ، وتصير مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وتبدل السماوات بذهاب شمسها وقمرها ونجومها ... وحاصله يغير كل عما هو عليه في الدنيا . وقال ابن الأنباري [3] : تبدل السموات بطيها وجعلها مرة كالمهل ومرة وردة

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (65/5).

(2)انظر:ابن حجر، ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري ": دار المعرفة بيروت ، 1379، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(376/11).

(3) ابن الانباري: الامام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي.

كالدهان. والحق الذي يجب أن يعتبر أن النصوص إذا أضيف بعضها إلى بعض تدل على أنه لا تبقى هذه الأرض يوم القيامة ولا السموات ولا الشمس والقمر والنجوم ، وإنما هناك عند قيام الساعة عالم آخر لا الأرض أرضنا ولا السماء سماؤنا.وقد قال تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم:٤٨)، أي وبرز الخلائق من الظالمين وغيرهم، أو الظالمون فقط . وبروزهم لله كناية عن عرضهم للحساب بصورة مخزية فالسكوت عن تفصيل ذلك بدون نص يدل عليه واجب . على أن عالم الآخرة حسب ظاهر النصوص محصور في عالم الجنة والنار . والجنة عرضها السموات والأرض . والنار مسافتها في علم العزيز الجبار . ولا تفي هذه الأرض ولا هذه المسافات المحدودة المحسوسة لأن تكون مستقراً لأهل الدارين .

وهكذا فقد بين المدرس معاني التبديل في اللغة، ثم بين معناه في الآية .

ثانياً: وقوفه عند مفردة (الفواكه) عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٩)،

قال المدرس[1]: ذكر الراغب في الفاكهة قولين [2]: الأول أنها الثمار كلها . والثاني أنها ماعدا العنب والرمان . وصاحب المختار [3] اختار الأول وقال: قولُ مخرج التمر والرمان منها مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (الرحمن: ٦٨)، قولٌ باطلٌ . ولا خلاف في أن اليابس منها كالزبيب والتمر وحبّ الرمان ليس بفاكهة.

والذي اختاره صاحب المختار هو الراجح وعليه جهور العلماء قال القرطبي:وقال الجمهور: هما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على

=ولد سنة اثنتين وسبعين ومئتين ، صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء ، وكان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظا للغة. انظر:سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، (274/15).

[1] انظر مواهب الرحمان في تفسير القرآن (22/6)

[2] انظر:الراغب الأصبهاني، للحسين بن محمد بن المفضل أبو قاسم: "المفردات في غريب القرآن"، دار العلم الدار الشامية،دمشق ــ بيروت1412 هــ، تحقيق : صفوان عدنان داودى(16)

[3] لعله يشير إلى : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب كتاب:(مختار الصحاح)

الفاكهة، كقوله تعالى:﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾(البقرة: ٢٣٨) ، وقوله:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ (البقرة: ٩٨) وقد تقدم. وقيل: إنما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا، لان النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات ، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها.[1]

2/ بيان المعاني المترتبة على اللفظ المشترك :

ومن ذلك ما أورده المدرس عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾(البقرة:٩٠)، قال [2]: فإذا كان اشترى على معناه المتعارف فمعنى الآية أنهم على زعمهم اشتروا أنفسهم وخلّصوها من عذاب الآخرة بكفرهم بما أنزل الله ، فكفرهم هو النقد الذي اشتروا به أنفسهم . وإن كان بمعنى باعوا فمعناها: أنهم باعوا أنفسهم بمتاع نفيس عندهم ، وهو بقاؤهم على دينهم التقليدي وكفرهم بما أنزل الله على محمد وهو القرآن الكريم .

بين المدرس أن التجارة في الحالتين خاسرة ، سواء أكانت بمعنى البيع أو بمعنى الشراء.

3/ التأصيل اللغوي :

كثيراً ما يعرّج المدرس على التطور التاريخي للكلمة ، ويبين أصلها وتطورها في الاستعمال، ومثال ذلك :

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(185/17)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة : الثانية ، 1384هـ – 1964 م

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (216/1)

المثال الأول : قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (المائدة: ٣٢)، قال المدرس[1]:الأجل بفتح الهمزة في الأصل الجناية يقال أجل عليهم شراً إذا جنى عيهم جناية. وفي معناه جَرّ عليهم جريرة ، ثم استعمل في تعليل الجنايات ، ثم اتسع فيه فاستعمل لكل سبب . وكذلك من جراء ذلك ممدوداً ومقصوراً . تقول من جرائك فعلت أي بسبب ما ذكرناه وما حكيناه من مأساة الواقعة ورهبة القتل ووخامة عاقبته في الدنيا والآخرة والمفاسد التي تترتب عليه من تمزق العوائل وتحقق الغوائل ، وتركيز الأحقاد في القلوب ، وندامة مباشره مما يتورط فيه من الكروب .

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾(المؤمنون: ٨)،قال المدرس[2] :

وأصل الرعي حفظ الحيوان ، والمراد به هنا الرعاية والمحافظة على ما قرره الله من كافة النواحي .

المطلب الثاني:التعليل اللغوي :

يعلل المدرس أحياناً حين يناقش بعض القضايا اللغوية، فيذكر وجوهاً عدة من الأسباب بهدف إيضاح المعنى وتعميم الفائدة ، فتراه يبين معنى اللفظة ويذكر سبب تسميتها بذلك.

ومن تعليلاته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(المائدة: ٨٢)،بين المدرس سبب تسمية القس بهذ الاسم فقال [3]: القسيسون علماء النصارى وعبادهم ورؤسائهم . والقسيس :صيغة مبالغة مأخوذة من تقسس الشيء إذا تتبعه بالليل . سموا به لتتبعهم ومبالغتهم في طلب العلم

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (137/3)
[2] المصدر السابق (17/6)
[3]) المصدر السابق) (196/3)

بزعمهم . وقال قطرب[1] : القس والقسيس العالم بلغة الروم . وقد تكلمت به العرب وأجروه مجرى كلماتهم

المطلب الثالث: الاشتقاق

من المباحث المهمة التي اهتم بها المدرس: مبحث الاشتقاق؛ لأنّ معرفة اشتقاق الكلمة يفيد في إيضاح معناها، وقد بحث المدرس عن أصول الكلمة وتصاريفها مستشهداً بأقوال أهل اللغة .

والاشتقاق في اللغة: يطلق على معان منها: أخذ الشيء من الشيء، ومنها الأخذ في الكلام والخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه، وكذلك أخذ الكلمة من الكلمة، واشتقاق الكلام إخراجه أحسن مخرج[2].

واصطلاحاً هو [3]: نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة ، وهو أقسام:

– الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من النهق.

– اشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب نحو ضرب من الضرب

– الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جبذ من الجذب.

والحقيقة أن المدرس– رحمه الله– قد تناول هذا المبحث وخصه بعناية ألخصها في النقاط التالية:

1/ بيان المعنى المشترك بين اللفظة ومادة اشتقاقها : ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

---

[1] هو أبو علي محمد بن المستنير "قطرب" المتوفى سنة 206هـ، وله كتاب الاشتقاق.

[2] انظر: ابن زكريا:"**معجم مقاييس اللغة**" مصدر سابق(3/171)

[3]انظر: الجرجاني، "التعريفات" مصدر سابق (1/43،44)

(البقرة: ٢١٩)، قال المدرس [1]: (والميسر) مصدر ميمي من يَسَرَ كالموعد والمرجع . يقال : يسرته إذا قمرته .واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ المال بيسر.

وهذا الاشتقاق الذي ذكره المدرس يندرج تحت الاشتقاق الصغير. والمعنى المشترك بين القمار واليسر هو الخفة فالمقامر يأخذ المال دون عسر.

2/ بيان المعاني المختلفة للكلمات والألفاظ المتقاربة :

ونلاحظ ذلك من خلال الأمثلة التالية :

المثال الأول: ما ذكره المدرس عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(البقرة: ١٠٧)، قال المدرس[2]: وأصل معنى الولاية الاتصال بين شيئين من غير تخلل شيء آخر أجنبي بينهما . ثم يستعار للقرب في المكان ، أو في النسب ، أو في الصداقة والنصرة .

والنصير والناصر المعين . وبينهما عموم وخصوص من وجه ؛ لأن الولي قد يضعف عن النصرة فلا ينصر . والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور، فيجتمعان فيما إذا كان الولي قادراً على النصرة والنصير قريباً في النسب من المنصور . ويفترق الولي عن النصير فيما إذا لم يقدر على النصرة . والنصير عن الولي إذا كان أجنبياً عنه.

المثال الثاني: معاني لفظة (سخرياً) بالضم والكسر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٠)، قال المدرس[3]: قوله (فاتخذتموهم سخرياً)أي هزءاً على وجه المبالغة لأنهم ما كانوا هزءاً لهم بل كانوا محل هزئهم ، و سخرياً قرئ بكسر السين وضمها وهما مصدرا سخَر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة . واختلف أهل اللغة هل هما بمعنى واحد أو بينهما فرق ؟ فاختار بعض الاتحاد في المعنى . وقال بعض : إن أصله التسخير وهو الإحضار قهراً ، فإن كان للهزء به فهو السخرية

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (381/1)
[2] المصدر السابق (235/1)
[3] المصدر السابق (46/6)

بالكسر ومنه المسخرة. وإن كان للعمل والاستخدام من غير أجرة فهو بالضم . وقيل غير ذلك .

وعلى ضوء ما بينه المدرس؛ يكون الأول هو المناسب للسياق ،فهم كانوا محل هزئهم.

المبحث الثاني: النحو

أكد العلماء على أهمية علم النحو وعِظم فائدته ، فقد عقد له الزركشي في البرهان مبحثا خاصا، وصنف النحو ضمن أنواع علوم التنزيل [1]، كما عقد السيوطي في الإتقان النوع الحادي والأربعين لمعرفة إعراب القرآن، وفيه أكد على أهمية النحو والإعراب ومعرفة المعنى[2].

ويظهر الجانب النحوي جلياً في تفسير المدرس ، فكثيراً ما يذكر إعراب الآيات ، خاصة إذا اقتضى المقام ذلك ، وكان يطيل أحياناً فيذكر الأوجه المختلفة ويرجح بينها في الغالب، والمدرس كمفسر يهدف بذلك إلى كشف المعنى وإيضاحه وإبعاد الغموض.

والواقع أن المسائل النحوية أخذت حظاً وافراً من تفسير المدرس ، أبرز من خلالها درايته الواسعة وتمكنه البالغ في هذا العلم ، مع أن الرجل من أصل كردي ، من أكراد العراق كما أشرنا في ترجمته [3] ولا ضير في هذا؛ فإن سيبويه ، وابن آجروم من شيوخ النحاة وهم من أصول غير عربية.

المطلب الأول: ذكر أوجه الإعراب في اللفظ القرآني و ما يترتب عليها من المعاني مع ترجيح ما يناسب المقام:

ومن الأمثلة على ذلك : ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، قال المدرس[4]: قوله **(**يعلمون الناس السحر**)** حال من فاعل كفروا ، وقيل: بدل من الجملة ، وقيل استئناف لبيان شئونهم ، أي كانوا يعلمون الناس السحر المعهود بينهم ، وخاصة ما أُنزل منه على الملكين ببابل هاروت وماروت فإنه من أرقى فنونه وأدقِّ طُرُقِهِ .

---

[1] انظر: الزركشي:"البرهان في علوم القرآن"، مصدر سابق (301/1)

[2] انظر: السيوطي: " الإتقان في علوم القرآن"، مصدر سابق (575/1)

[3] انظر: ترجمة الشيخ في الفصل الأول من الرسالة ص 3 ، وكتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) للمصنف ص324ومابعدها.

[4] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (226/1)

المثال الثاني: قال المدرس:[1] واعلم أنه ذكر في إعراب قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:الآية١٠) وجوه عديدة أرجحها عندي أن يكون العمل معطوفاً على الكلم يعني إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح .وقوله تعالى يرفعه جملة مستأنفة وفاعله ضمير راجع إلى الله تعالى، والضمير المنصوب عائد إلى العمل ، ووجه تخصيص الر فع بالعمل هو أن العمل فيه كلفة زائدة ومشقة فوق العادة ، فمنه جهاد النفس وكبح جماحها بقصد إصلاحها وذلك من أصعب الأعمال ، ومنه جهاد الكفار ، ومنه إسباغ الغسل والوضوء في الليل والنهار، ومنه صرف الأموال في سبيل الله تعالى . وهذه الأعمال الشاقة منوطة بتوفيق خاص من الله ولا يمكن إحداثها إلا بلطف منه تعالى ، ولشرفها نسب رفعها إلى الله فقال يرفعه أي يرفع الله ذلك العمل الصالح إليه أي إلى ذاته وقدسه.

المطلب الثاني: بيان النحو من بيان المعنى

لا شك أن مذهب أي باحث وواقعه يؤثران في بحثه لكثير من القضايا التي يتناولها ، ولا سيما أصحاب النزعة النحوية والبلاغية في تفسير القرآن. فلا غرابة أن نجد المدرس – وهو من أهل السنة والجماعة – يتصدى للشيعة، في مسائل شتى ، فتلمح رده عليهم حتى في تناوله لمسائل نحوية وبلاغية.

ومن الأمثلة على ما قلت من توظيف النحو للاستدلال على فساد مذهب الشيعة ما أفاده المدرس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء: ٣)، قال المدرس[2] بعد أن فسر الآيات وبين معناها : أنه لما كانت تلك الألفاظ أحوالاً ، والحال بيان لكيفية الفعل وتقييد له ، والقيد في الكلام الفصيح احتراز عن مقابله .. أفادت الآية الكريمة أن الأمر بالنكاح مقيد بكونه على ذلك العدد لا أزيد منه ، فما ذهب إليه بعض من جواز نكاح تسع زوجات مندفع ؛ لأن من نكح خمساً لم يحافظ على معنى القيد من النكاح ؛

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ،(407،406/6)
[2] انظر: المصدر السابق (317/2)

لأنه تجاوز المأمور به ، فضلاً عمن نكح ستاً أو سبعاً أو ثماني أو تسعاً ، وهذا التقييد أحد الأدلة على عدم جواز تزوج المسلم أكثر من أربع زوجات .

لقد أجاد المدرس بهذه الفائدة القاضية بإبطال مذهب الشيعة في هذه المسألة – وإن لم يذكرهم المدرس باسمهم– إلا أنهم مشهورون بهذا.

المطلب الثالث: اهتمامه بإعراب ما يراه بحاجة إلى إعراب ،ويوضح المعنى:

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (البقرة:الآية ١١٣)، قال المدرس [1]: وقوله تعالى: (وهم يعلمون) الواو حالية ، والجملة حال . وقوله :(كذلك) مفعول به لقال ، وقدم عليه للاهتمام ، وقوله : (مثل قولهم) صفة قول مقدر ومفعول مطلق أي قال الذين لا يعلمون كلاماً مثل ذلك الكلام الذي قالته اليهود والنصارى . ويجوز أن يكون مثل قولهم صفة للمفعول به المقدر ، وكذلك حالاً له قدم عليه . أي قال الذين لا يعلمون الحق مثل عباد الأصنام والمعطلة قولاً مثل قول اليهود والنصارى بالنسبة إليهما وإلى المسلمين حال كونه كلاماً جارياً على ذلك المنهج ناشئاً عن الشهوة والغرور.

المطلب الرابع: بيان معاني الحروف:

المدرس يهتم كثيراً ببيان معاني الحروف المختلفة،لما لها من أثر واضح في بيان النص القرآني ، ويتضح ذلك في المثالين التاليين.

المثال الأول : قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:الآية ٤٢)، قال المدرس:[2] والباء في قوله تعالى بالباطل إما للصلة أي لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه حتى لا يميز بينهما أو للاستعانة أي لا تجعلوا الحق ملتبسا ومختفيا على الناس بسبب خلط الباطل الذي تذكرونه في تأويله.

---

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (238/1)
[2] المصدر السابق (165/1)

المثال الثاني: قال تعالى:﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾(الصافات:الآيات من ٧٩ إلى ٨٢)،قال المدرس [1] مبيّناً معنى(ثم):ثم للتراخي الذكري؛لأن إغراق من لم يؤمن به كان قبل بقائه ﴿عليه السلام﴾ مع من معه.

وأفاد المدرس هذا المعنى حتى لا يُظن أن (ثم) تفيد هنا الترتيب الزمني؛ بمعنى أن نجاة نوح﴿ عليه السلام ﴾ كانت قبل إغراق قومه ، بل إغراق قومه كان قبل بقائه مع من آمن معه بدليل آية سورة هود،حين ناشد ابنه بالركوب معهم ولكن الأمواج باغتته، فال تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾(هود: الآية٤٣).

---

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (463/6)

المبحث الثالث

الصرف

ولقد اهتم المدرس بهذا الفن الذي عرف ب:" العلم بأحكام بِنْية الكلمة، وبما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وإبدال وشبه ذلك." [1]، حيث بين الميزان الصرفي لكثير من ألفاظ القران ،وما طرأ على الكلمة من تحولات ، كالإدغام والقلب والإبدال ، ويتوسع أحياناً فيورد خلافات أهل هذه الصنعة ويرجح بينها ، كل ذلك في سبيل الإيضاح والبيان لألفاظ القرآن ، والنقاط التالية بيان لمنهجه.

المطلب الأول: بيان الميزان الصرفي لبعض الألفاظ القرآنية وذكر الخلاف

ومن ذلك كلامه عن أصل كلمة (أشياء) ووزنها عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة:الآية ١٠١)

قال المدرس:[2] "ومما يحسن أن يعلم أنّ لفظ أشياء لمّا استعمل غير منصرف، وظاهره أنّه جمع شيء كبيت وأبيات وليس فيه أسباب منع الصرف اختلفت آراؤهم.

فذهب سيبويه والخليل إلى أنّ الهمزة للتأنيث وأنّ الكلمة اسم مفرد يراد به الجمع كالحلفاء والطرفاء. فأشياء في الأصل شيئاء بهمزتين بينهما ألف، فقدمت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة على الفاء لاستثقال همزتين بينهما ألف قبلهما حرف علة. والهمزة الثانية زائدة للتأنيث ولذلك لا تنصرف، ووزنها لفعاء.

ثمّ قال المدرس: وقصارى ما في هذا المذهب القلب وهو كثير في كلامهم. وذهب الفراء إلى أنها جمع شيء بياءٍ مشددة وهمزة بوزن هين وليّن، إلاّ أنهم خففوه فقالوا شيءٍ

---

[1] انظر: الغلاييني، مصطفى" جامع الدروس العربية"، المكتبة العصرية: بيروت- صيدا، ط 25، 1412هـ -1991م(207/1)

[2] انظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن (213/3،214)

كميتٍ، وبعد التخفيف جمعوه على أشيئاء بهمزتين بينهما ألف بعد ياء بزنة أفعال فاجتمعت همزتان إحداهما لام الكلمة والأخرى للتأنيث، فخففوا ذلك بقلب الهمزة الأولى ياء ثمّ حذفوا الياء الأولى التي هي عين الكلمة فصار وزنه أفعال.

وقيل في تصريف هذا المذهب: إنهم حذفوا الهمزة التي هي لام الكلمة لأنّ الثقل حصل بها فوزنها أفعال، ومنع الصرف لهمزة التأنيث واستحسن هذا المذهب لو كان دليل على أنّ أصل شيء بالتشديد.

وقال الأخفش إنها جمع بوزن فلس وأصلها أشيئاء بهمزتين بينهما ألف بعد ياء ثمّ عمل فيه ما مر. ويرده الزجاج بأنّ فعلاء لا يجمع على أفعلاء.

المطلب الثاني: ذكر ما جرى للكلمة من تحولات (إدغام/إعلال/قلب/إبدال):

كثيراً ما يورد المدرس التغيرات التي طرأت على الكلمة ، ومن هذه التغيرات القلب ، وهو: جعل حرف مكان حرف .

المثال الأول: ما ذكره المدرس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ (الزمر: ١٧)، قال المدرس [1]:والطاغوت مصدر طغى يطغى،وأصله طغووت على وزن فَعَلووت كالجبروت والملكوت ، فقلبت اللام إلى محل العين صار طوغوت، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها .

المثال الثاني:قال تعالى :﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(البقرة: ١٢٤)

قال المدرس:[2]" والذرية: نسل الرجل، وأصلها الأولاد الصغار، ثمّ عمّت الصّغار والكبار الواحد والمتعدد، واشتقاقها إن كان من الذرّ المضاعف، كما ورد في الخبر(إنّ الخلق كان

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير لقرآن ، (505/6)
(2) المصدر السابق (257،256/1)

كالذرّ)[1] والياء للنسبة فوزنها فعليَّـــــة بضم الفاء وسكُون العين وكسر اللام والياء للنسبة والتاء للتأنيث ، كالحرِّية.

ثمّ قال المدرس: وإن لم تكن الياء لها فوزنها إما فعُولة بضم الفاء وتشديد العين، وأصلها دُرّورة بذال معجمية وراء مهملة مشددة وواو ساكنة زائدة ثمّ راء ثالثة كذلك قلبت الراء الأخيرة ياء على قانون القلب في المضاعف كما في تقضيّت. وأصله تقضّضْت كتعلّمت فاجتمعت الواو والياء فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وكسر ما قبله للمناسبة. وأما فعّيلة بضم الفاء وكسر العين المشددة وأصله ذُرّيرة بذال مضمومة وراء مشددة مكسورة وياء ساكنة زائدة وراء كذلك مفتوحة، قلبت الراء الأخيرة ياء وأدغمت الياء في الياء فصار ذرّيّة بضم الذال وكسر الراء المشددة وفتح الياء كذلك.

ثمّ قال المدرس كذلك: وإن كانت من ذرأ بمعنى خلق بالهمز فوزنه إما فعّولة بضم الفاء وتشديد العين المضمومة وأصلها ذرّوءة بذال وراء قبلها للمناسبة فصارت ذُرّيّة. وإما فُعيلة بضم الفاء وكسر العين المشددة وأصلها ذُرّيئة فقلبت الهمزة وأدغمت الياء في الياء فصارت ذريّة.

ثمّ قال: وإن كانت معتل اللام الواوي من ذرت الريحُ الشيءَ إذا أطارته وأذهبته فأصلها ذرّووَة بذال مضمومة وراء مشددة كذلك وواو ساكنة زائدة أخرى أصلية على وزن فعّولة، فاجتمعت واو وياء والسابقة منهما ساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء فصار ذرّيّة. وقيل: فعّيلة وأصلها ذُرّيوَة بضم الذال وكسر الراء المشددة وياء ساكنة وواو مفتوحة فأعِلّتْ كما مر.

وإن كانت من ذريت فوزنها إماّ فعولـــــة وأصلها ذُرّوية فَأعِلّت. او فُعّيلة فأصلها ذُرِّيية فأدغمت الياء في الياء. "

المثال الثالث: قَالَ تَعَالَى:﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (النور: ٣٢)،قال المدرس[2]:و أيامى مقلوب أيايم جمع أيم ،

[1] سنن النسائي :(6/ 327)

[2] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (75/6)

لأن فيعل لا يجمع على فعالى ،قدمت الميم وفتحت للتخفيف ، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . وذهب ابن مالك ومن تبعه إلى أنه جمع شاذ لا قلب فيه ، ووزنه فعالى .

المثال الرابع: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **(آل عمران:** ٧٨) **قال المدرس:**"يلوون فعل مضارع لجمع المذكر الغائب والواو ضمير فاعل الجمع راجع إلى أهل الكتاب الخائنين . وماضيه لوى . وهو لفيف مقرون وأصله يلويون كيضربون ،ثقلت الضمة على الياء ، نقلناها إلى الواو ،ثم حذفنا الياء لالتقاء الساكنين فصار يلوون على وزن يفعون . وأصل مصدر المجرد اللوي قلبنا الواو ياء وأدغمناها فيها صار لياً بتشديد اليـــاء. "[1]

المطلب الثالث : إبداء الرأي فيما ينقل

إن المدرس لا يسوق المعلومات دون نقد وبيان ، بل يحلل وينتقد آراء من ينقل عنهم، ويبدي رأيه ، وينتصر لما يعتقده الصواب، والمثالان التاليان يبينان ما ذكرته .

المثال الأول: قال تعالى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾(الأحزاب:الآية ٣٢)،قال المدرس[2]: قال صاحب روح المعاني رَوّح الله روحه :إن أحد الذي لا يستعمل إلا في النفي معناه إنسان بإجماع أهل اللغة ، وأحد الذي يستعمل في الإثبات معناه الفرد من العدد ، فإذا تغاير مسماهما تغاير اشتقاقهما ، لأنه لابد فيه من المناسبة بين اللفظ والمعنى ، ولا يكفي فيه أحدهما ، فإذا كان المقصود به الإنسان فهو الذي لا يستعمل إلا في النفي ، وهمزته أصلية ، وإن قصد به العدد ونصف الاثنين فهو الصالح للإثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو –انتهى–

ثم علق المدرس على قول الألوسي وأبدى رأيه فيه بقوله: ولا يخفى أنه إذا سلم الفرق المذكور ينبغي أن تكون الهمزة هنا أصلية . وإلى أن همزة الواقع في النفي أصلية ذهب أبوحيان فقال : إن ما ذكره الزمخشري من قوله : ثم وضع في النفي العام غير صحيح لأن

---

(1) انظر:مواهب الرحمن في تفسير الرحمن (208/2)

(2) المصدر السابق (346/6)

الذي يستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل . وذكر النحويون أن مادته همزة وحاء ودال ، ومادة أحد بمعنى واحد أصله واو وحاء ودال ، فقد اختلفا مادةً ومدلولاً . وذكر أن ما في قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة:الآية ٢٨٥)، يحتمل أن يكون الذي للنفي العام ، ويحتمل أن يكون بمعنى واحد ، ويكون قد حذف معطوف ، أي بين واحد وواحد من رسله .

ثم قال : وقال الراغب : أحد يستعمل على ضربين في النفي لاستغراق جنس الناطقين ويتناول القليل والكثير على الاجتماع والانفراد نحو ما في الدار أحد أي لا واحد ولا اثنان فصاعداً لا مجتمعين ولا متفرقين . وهذا المعنى لا يمكن في الإثبات لأن نفي المتضادين يصح . ولا يصح إثباتهما ، فلو قيل : في الدار أحد لكان إثبات أحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومتفرقين وهو بين الإحالة . ولتناوله ما فوق الواحد صح نحو **قوله تعالى:** ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾(الحاقة:الآية ٤٧)، وفي الإثبات ثلاثة أوجه استعماله في الواحد المضموم إلى العشرات كأحد عشر وأحد وعشرين واستعماله مضافاً إليه بمعنى الأول نحو ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ (يوسف: ٤١)، وقوله يوم الأربعاء ، واستعماله وصفاً وهذا لا يصح إلا في وصفه تعالى شأنه . أما أصله أعني وحد فقد يستعمل في غيره سبحانه كقول النابغة :

(كأنّ رحلي وقد زال النهار بنا بذي الحليل على مستأنس وَحَدِ)[1]

وهو محتمل لدعوى انقلاب همزته عن واو مطلقاً، ولدعوى انقلابها عنها في الاستعمال الأخير . ثم قال : ولا يخفى على المنصف أن كون المعنى في الآية ما ذكره الزمخشري ، وهو قوله أن المعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ..أظهر ، وتفصيل كل واحدة من نسائه ﴿ ﷺ ﴾ على كل واحدة واحدة من سائر النساء لا يلزم أن يكون لهذه الآية ، بل هو دليل آخر إما عقلي وإما نص مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)،وقيل

[1] هذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن المنذر، انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي:"خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق : محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، 1998م- بيروت (177/3)

: يجوز أن يكون ذلك لها فإنها تفيد بحسب عرف الاستعمال تفضيل كل منهن على سائر النساء لأن فضل الجماعة على الجماعة يكون غالباً لفضل كل منها . انتهى ما نقلته من روح المعاني .

ثم نجد المدرس لا يكتفي بسرد هذه الأقوال فحسب بل يتعقبها بالترجيح ، وبيان وجه الترجيح . قال المدرس: وإذا تأملت في ذلك بإنصاف علمت أن الحق هو ما قاله الراغب ، وهو أن استعمال أحد في النفي لاستغراق جنس الناطقين ويتناول القليل والكثير على الاجتماع والانفراد ، وذلك لأن الاحتمالات في الآية الكريمة أربعة :نفي مساواة الجماعة للجماعة ، ونفي مساواة الواحدة للواحدة ، ونفي مساواة الواحدة للجماعة ، ونفي مساواة الجماعة للواحدة . وهذا الاحتمال الأخير لا قيمة له ، إذ ليس المقصود أن جماعتكن ليست كواحدة من النساء قطعاً ، وتبقى الاحتمالات الثلاثة صحيحة موافقة للمقصود ؛ لأنه إذا أريد أنه ليست جماعتكن كأية جماعة من النساء يلزمه غالباً ألا تكون أية واحدة منهن كأية واحدة من سائر النساء . وإذا أريد أن ليست واحدة منهن كجماعة من النساء بل أشرف منهن . . أفاد المدح الزائد لثبوت شرف الواحدة على الجماعة فعلى الفرد يكون بالأولى . وإذا أريد أن ليست واحدة منكن كواحدة من النساء يلزمه أن لا تكون جماعتهن كجماعة من النساء . وهذه الاحتمالات السليمة كلها توافق ما قاله الراغب من استعمال أحد في النفي لاستغراق الجنس قليلاً أو كثيراً ، وهذا واضح .

المثال الثاني : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(آل عمران:الآية ١١٠)، والمدرس في هذا المثال يبين معنى(كان) في هذه الآية ويذكر أقوال أهل العلم فيها ويرجح بينها، قال المدرس [(1)]:من المفسرين من قال:كلمة كان زائدة .والمعنى: أنتم خير أمة.واعترض بأنها لا تزاد في أول الكلام، ومن قال : هي ليست زائدة ولكن لا تدل على الزمان وإنما تدل على تأكد النسبة بين أجزاء مدخولها . ومن قال أنها تدل على تحقق تلك النسبة في الزمان الماضي ولذلك عدها المناطقة رابطة زمانية ، فتدل هنا على تحقق النسبة في الزمان الماضي سواء كان أزلية لا تنقطع ، ولا تنتهي نحو

(1)انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (236،235/2)

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:الآية ١٧)، ونحو كان زيداً أميرا ، أو مُستثمرا لا تزول نحو (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وهذا القول هو الصواب الموافق للوضع والاستعمال . وعليه يحتمل أن يكون المراد الماضي القريب ،والمقصود أصحاب محمد ﴿ ﷺ ﴾. ومعناه كنتم يا أصحاب أمة منذ نشأتكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وهو التوحيد ، وتنهون عن المنكر وهو الإشراك ، وتؤمنون بالله حسب ما بلغه الرسول محمد ﴿ ﷺ ﴾.

وإذا كان للماضي البعيد كما هو الظاهر فمعناها يعتبر بحسب علم الباري تعالى أي كنتم في علمنا الأزلي خير أمة أخرجت وخلقت للناس أي الرسل.

المطلب الرابع: حل الإشكالات اللغوية

الناظر في تفسير المدرس – رحمه الله – يجده قد سخّر ما أوتي من علوم اللغة لأجل بيان اللفظة القرآنية ، فهو يسعى إلى حل كل الإشكالات التي تحول دون بيان المعنى ، ويتضح هذا من خلال المثال التالي:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٢)، قال المدرس: [1] ومما ينبغي التنبيه عليه أن أمثال قوله تعالى(إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) من استثناء المصدر التأكيدي من الفعل مشكل لأنه يوجب استثناء الشيء من نفسه أي ما ظننت إلا ظننت !وأجيب عن هذا الإشكال بأمرين :

الأول : تحويل المفعول المطلق التأكيدي إلى النوعي بأن يقال في الآية الكريمة للظن مراتب مختلفة بالقوة والضعف ويراد من المصدر مرتبة مخصوصة مناسبة للمقام فيكون المعنى ما ظننا أو ما نظن بالساعة آتية إلا ظناً ضعيفاً حقيراً كما مر آنفاً . فيكون هذا المستثنى مرتبة واحدة من مراتب المستثنى منه .

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (111/7)

والثاني : أن يقال مادام سياق كلام المتكلم على تأكيد تحقق الظن يؤوّل نظن بنعتقد أي ما نعتقد بالساعة إلا اعتقاد الظن بالمعنى العام الشامل لما عدا اليقين ، وما نحن بمستيقنين للساعة ،وعلى اليقين يبنى الاعتراف بالساعة وما فيها. ويؤول نحو ما ضربت إلا ضرباً بما فعلت شيئاً إلا ضرباً وهكذا.

وقد فسر الزحيلي الآية على الأمر الأول الذي أشار إليه المدرس فقال: إن نظن إلا ظنا لا يؤدي إلى العلم واليقين. وإنما افتقر إلى هذا التقدير، لأنه لا يجوز أن يقتصر على أن يقال: ما قمت إلا قياما، لأنه بمنزلة: ما قمت إلا قمت، وذلك لا فائدة فيه."[1]

وعلى هذا التوجيه يتضح معنى الآية وينسجم مع قولهم (وما نحن بمستيقنين)

---

[1] وهبة بن مصطفى الزحيلي ،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق،الطبعة : الثانية ، 1418 هـ

المبحث الرابع

البلاغة في تفسير المدرس

عني المدرس في تفسيره بالبلاغة عناية خاصة، فقد كان يستخرج المسائل البلاغية من الآيات، سواء أكانت تلك المسائل تختص بعلم المعاني، أو البيان أو البديع، فأبرز بلاغة القرآن في أعظم صورها، وأبهى حللها.

وتُعجَبُ بكلام المدرس وهو يتحدث عن بلاغة القرآن قائلاً [1]: ... ، مع أنأ إذا نظرنا إلى حقيقة بلاغة القرآن المفسَّرة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وجدنا أن في كل إجمال وتفصيل ، وإبهام وتفسير ، وتقديم وتأخير ، واختصار وتطويل ... مبررات واقعية ودواعي حقيقية لا يعلمها إلا من ألهمه الله الحقائق . فإن مجالس الإرشاد بالقرآن ومواقع السؤال والجواب كانت تختلف جداً بحسب طبقات الناس في العلم والحكمة وتنزل الطبع وعلو الهمة ،والتعمق في العداوة ، أو التوسط أو خلو الذهن عنها ، أو استكبار الناس واستنكارهم . وكذلك في حضور الناس مع الآخرين السائلين . فلا يمكن أن ترى آيات من القرآن إلا وفيها رعاية المطابقة لمقتضى الحال وإذا كان الأمر كذلك فلا نظر إلى تكرار بعض الموضوعات ولا في الترتيب بين الحكايات ، إذ ما نراه مهما يوجد معه أهم من ذلك ، وفي هذا بلاغ .

وسنعرج في هذا المبحث على بعض المسائل البلاغية في تفسير المدرس ومنهجه فيها مرتبة حسب علوم البلاغة كما يلي .

المطلب الأول: علم البيان: وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.[2]

لقد اهتم المدرس بعرض الكثير من الصور البيانية أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم ، ومن ذلك التشبيه، والكناية ، والمجاز . وفيما يلي بعض الأمثلة لبيان ذلك:

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (200،199/1)

[2] القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر :"الإيضاح في علوم البلاغة" ، الناشر:دار إحياء العلوم – بيروت،(201/1)

أولا/ التشبيه:

والتشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد فدخل فيه ما يسمى تشبيها بلا خلاف وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه كقولنا زيد كالأسد أو كالأسد بحذف زيد لقيام قرينة وما يسمى تشبيها على المختار كما سيأتي وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه أو في حكم الخبر كقولنا زيد أسد وكقوله تعالى (صم بكم عمي) أي هم ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

(أسد علي وفي الحروب نعامة ... خرقاء تنفر من صفير الصافر)[1]

وكقولنا رأيت زيدا بحرا ، وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك .[2]

والتشبيه أنواع ؛منه المفرد ،والمركب ،والبليغ ، والتمثيل وغيرها، وقد ذكر المدرس بعض أنواع التشبيه ، ونمثل لذلك بما يلي:

المثال الأول: قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ (العنكبوت:الآية ٤١)، قال المدرس[3]:المثل الشأن والصفة العجيبة والعبارة تحتمل تشبيه المفرد بالمفرد . وتحتمل التشبيه المركب ، وبما أن المقصود من التشبيه لا يتحقق بتمامه إلا بملاحظة الملابسات فالأحسن أن يعتبر من التشبيه المركب ، وحاصله أن صفة الذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام المصنوعة الجامدة الــتي لا يحصل منها

---

[1] البيت لعمران بن حطان مخاطباً الحجاج ، وتكملة القصيدة – انظر : ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد، عز الدين" شرح نهج البلاغة"، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (109/1)-:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوب نَعامَةٌ ... رَبْداءُ تَجْفِلُ مِن صفِيرِ الصَّافِرِ
هَلاَّ بَرَزْتَ إلى غَزالَة في الوَغَى ... بَلْ كان قلْبُكَ في جَناحَيْ طائِرِ
صَدَعَتْ غَزالَةُ جَمْعَهُمْ بفَوارسٍ ... جَعَلَتْ كَتائِبَهُمْ كأَمْس الدَّابِرِ

[2] القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة" (203/1)

[3] انظر :مواهب الرحمن في تفسير القرآن (266،267/6)

أي نفع أو ضرر مع أنهم يعتمدون عليها ويفرحون بها كمثل العنكبوت حيث اتخذت بيتاً وسكنته واطمأنت به ، وتحسبه مستقراً رصيناً حصيناً .

المثال الثاني: قال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(الصافات:الآية٦٥) ، قال المدرس:[1] في قبح المنظر ، والعرب تشبه الشيء القبيح بالشيطان أو وجهه أو رأسه .

والمدرس لم يذكر نوع هذا التشبيه ، وهو من التشبيه التخييلي كما أفاده بعض المفسرين [2].

ثانيا/ المجاز:

وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع ، إذا تخطاه إليه فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يجاز فيه، كالمعاج والمزار وأشباههما ،وحقيقته: هي الانتقال من مكان إلى مكان ؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل ، كقولنا زيد أسد فإن زيدا إنسان والأسد هو هذا الحيوان المعروف ؛ وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية ، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما ، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة ، وقد يكون العبور لغير وصلة ،وذلك هو الاتساع ، كقولهم في كتاب كليلة ودمنة :قال الأسد وقال الثعلب فإن القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الأحوال وإنما أجرى عليهما اتساعا محضا لا غير[3] .

وهو قسمان :المجاز العقلي ، والمجاز اللغوي ، وينقسم إلى استعارة ومجاز مرسل[4]

1/ المجاز العقلي : وهو إسناد الفعل المعلوم أو ما بمعناه كاسم الفاعل إلى غير الفاعل وإسناد الفعل المجهول أو ما بمعناه كاسم المفعول إلى غير المفعول به . [5].

---

(1) انظر: المصدر السابق(461،462/6)

(2) انظر:" الجامع لأحكام القرآن "مصدر سابق" (86/15)

(3)انظر: بن عبدالكريم الموصلي، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد: " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ، الناشر : المكتبة العصرية - بيروت ، 1995، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد (74/1)

(4) عباس ، فضل : "البلاغة فنونها وأفنانها- علم البيان والبديع"، دار الفرقان، عمان، ط 4، 1417هـ-1997م(138-139)

(5) انظرالمدرس، عبد الكريم " رسائل العرفان في النحو والصرف والوضع والبيان" أشرف على طبعه: محمد الملا أحمد الكزني، ط1، 1398- 1978 ، دار العربية للطباعة والنشر- بغداد ص201

2/ المجاز اللغوي: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي.[1] ويكون استعارة إذا كانت العلاقة تشبيها، ويكون مجازاً مرسلاً إذا كانت العلاقة غير المشابهة ، وفيما يلي أمثلة عنهما:

المثال الأول عن الاستعارة : -وهي تتبع المجاز اللغوي- قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾(البقرة: ١٦)، قال المدرس:[2] وفي الآية الكريمة استعارة مكنية ؛ حيث شبه الضلال بالأموال الفاسدة الكاسدة، والهدى بالذهب والأحجار الكريمة الواردة، وذكر اشترى قرينة وفيه استعارة تخيلية. وذكر الربح والتجارة التي وسيلة التبادل، والمعاملة استعارة "تخييلية" وترشيح لها.

المثال الثاني :عن المجاز المرسل -وهو أيضاً من المجاز اللغوي- : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٠٧):قال المدرس: أي الجنة فقد ذكر الرحمة وأريد محلها ، أعني الجنة .[3]

وقد أنكر بعض العلماء وقوع المجاز في القرآن خلافاً لما عليه جمهور العلماء، قال السيوطي : وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى

وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها[4]

ثالثاً/ الكناية:

---

(1) المصدر السابق ص203

(2) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (103/1)

(3) انظر:المدرس، عبد الكريم"رسائل العرفان في النحو والصرف والوضع والبيان "، ص203،204

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(97/2)

هي أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي[1] .

ومن أمثلة الكناية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٩)، قال المدرس[2]:

وجملة(سقط في أيديهم) بالفعل الماضي المجهول كناية عن شدة الندم، فإنّ النادم إذا اشتد ندمه عض يده فكانت الأسنان ساقطة واليد مسقوطا فيها وهو معنى سُقط في أيديهم وذكر بعضهم أنّ هذا التركيب لم يسمع قبل نزول القرآن، ولم تعرفه العرب ولم يوجد في أشعارهم وكلامهم، ولذا خفي معناه على الكثير.

ومثال آخر على الكناية: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان: ٢٩)، قال المدرس [3] كناية عن عدم الاكتراث بهم، فإنه اشتهر بين العامة أنّ كل قوم شريف إذا هلكوا تبكي عليهم السماء والأرض بنزول نوع من الندى من السماء أو بظهور بعض الصرقيع على سطح الأرض، فيقول أنه بعد هلاك فرعون وقومه لم يتحقق ذلك. والمقصود الإهانة كما ذكرنا.

المطلب الثاني: علم المعاني:

وهو العلم الذي نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال، من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر، وإيجاز وإطناب. [4]

وقد تناول المدرس الكثير من مباحث هذا العلم في تفسيره ومن الأمثلة على ذلك:

أولا/ الإيجاز والإطناب : الإيجاز نوعان : إيجاز الحذف ، وإيجاز القصر [5] ، ومن أمثلة إيجاز الحذف: حذف الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

---

[1] عباس، فضل : "البلاغة فنونها وأفنانها"- علم البيان والبديع(243)
[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (30/4)
[3] المصدر السابق (94/7)
[4] عباس، فضل" البلاغة فنونها وأفنانها"- علم المعاني(88)
[5] القزويني، الخطيب:" الإيضاح في علوم البلاغة " مصدر سابق(170/1)

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:الآية ٢٢٨)، قال المدرس:[1] ففي الآية الشريفة بلاغة إيجاز وتقديره: ولهنّ عليهم مثل الذي لهم عليهن لكن بالوجه المعروف المشروع المعتاد بين أهل الشرف والكرامة، فليس على الرجال أن يطبخوا ويخبزوا ويغسلوا الثياب في مقابلة أعمال النساء لتلك الأشياء.

والمدرس هنا لا ينفي مساعدة الرجل لأهله في بيته كما قد يفهم؛ بل ينفي إلزام الرجل بالقيام بهذه الأعمال في مقابلة قيام المرأة بها ، والنبي(ﷺ) وهو القدوة كان يساعد أهله.

ومن أمثلة إيجاز القصر: قوله تعال:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٩) " فإنه لا حذف فيه ، مع أن معناه كثير يزيد على لفظه لأن المراد به أن الإنسان، إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا إلى أن لا يقدم على القتل ؛ فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ؛ فكان في ارتفاع القتل حياة لهم ،وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى ،وهو قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه: أحدها: أن عدة حروف ما يناظره منه وهو في القصاص حياة عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر.

وثانيها: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها؛ فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص.

وثالثها: ما يفيد تنكير حياة من التعظيم أو النوعية كما سبق ورابعها اطراده بخلاف قولهم فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره.

وخامسها: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم وسادسها: استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره القتل أنفى للقتل من تركه."[2] وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق كما سيأتي وثامنها جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال في عليه.

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (14/2)

(2) القزويني، الخطيب " الإيضاح في علوم البلاغة " (174/1)

ثانياً/ الالتفات[1]: ومن أمثلة الالتفات في تفسير المدرس ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا**﴾(مريم: ٨٨ – ٨٩)،قال المدرس:[2] **(**وقال**)** أي المجرمون من العباد المذكورين بقرينة المقول: **(**ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا **)** وهم اليهود القائلون بأن عزيراً ابن الله ، والنصارى القائلون بأن عيسى ابن الله ، والمشركون الزاعمون أن الملائكة بنات الله . فرد الله عليهم على وجه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وقال (لَّقَدْ جِئْتُمْ) أيها القائلون بما لا يوافق (شَيْـًٔا إِدًّا) أي بشيء منكر لا يقادر قدره والأدّ بالفتح مصدر أدّ يئد" أدّاً أي جاء بشيء منكر وبالكسر اسم للأمر الفاسد المنكر العجيب.

ومن الالتفات أيضاً ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ (الإسراء: ١)،قال المدرس:[3] قال تعالى ملتفتاً من الغيبة إلى التكلم **(لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ)** كذهابه في برهة من الليل الواحد مسافة مسيرة شهر تقريباً ومشاهدة بيت المقدس ، وتمثل الأنبياء له**(لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ)** هناك وسائر ما شاهده من ملكوت العالم...

ثالثاً/ التعريف والتنكير:

أما التعريف فيكون بالضمير وبالعلمية وباسم الإشارة وبالاسم الموصول وبـــــ(أل) وبالإضافة[4]، والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسير المدرس منها:

---

[1] الالتفات :هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، والطرق هي الخطاب والغيبة والتكلم،انظر: الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني،(72/1)

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (339/5)

[3]المصدر السابق(162/5)

[4] عباس، فضل :"البلاغة فنونها وأفنانها"-علم المعاني (297-328)

1-تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الفاتحة: ٢)، قال المدرس:[1] واللام في الحمد إما للجنس أي ماهية الحمد وجنسه وحقيقته، أو للاستغراق أي كل فرد من أفراد الحمد صادر من أيّ حامد متوجه إلى أي محمود في مقابلة أي نعمة كان. أو للعهد العلمي أي الحمد اللائق بذاته تعالى. وهو حمده بنفسه لنفسه ثابت لله سبحانه وتعالى.

2- ومن ذلك أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾(مريم: ٢٣)، قال المدرس:[2] أي ألجأها وجع البطن المعهود عند الولادة إلى جذع النخلة، وهي ما بين العـ ذق ومتشعب الأغصان من الشجرة، وذلك لتستند إليها عند الولادة. والتعريف إمّا للجنس أي جذع أية نخلة للغاية المذكورة، أو نخلة معهودة هناك لكبرها وسترها لها وصلاحيتها للاستناد أيضاً.

3- وأما التنكير فمثاله : التنكير الوارد في قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة: ٣٦)، قال المدرس[3]: وقوله (مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ) بتنكير الكلمات إشارة إلى أنّ زمان الاستقرار والتمتع في الأرض قليل لا يذكر بالنسبة إلى زمان الآخرة وسكنى الجنة التي أعدت للمتقين .

4- ومن التنكير أيضاً ما ورد عند تفسير المدرس لقوله تعالى: ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾(الدخان: ٥)، قال المدرس:[4] ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ منصوب على الاختصاص وتنكيره للتفخيم، والجار والمجرور في موضع الصفة له.

رابعاً/الذكر والحذف:

(1) عباس، فضل :"البلاغة فنونها وأفنانها"-علم المعاني (73/1)
(2) المصدر السابق (318/5)
(3) عباس، فضل :"البلاغة فنونها وأفنانها"-علم المعاني (144/1)
(4) المصدر السابق(91/7)

يقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر.[1] ، ومن الأمثلة على ذلك : من الذكر والحذف ما جاء عند قوله تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(الإسراء:1)، قال المدرس:[2] وأسرى وسرى بمعنى واحد وهو سير الليل أو أكثره فليست همزة أسرى للتعدية، وقيل: الهمزة للتعدية ومفعوله محذوف، والتقدير: أسرى ملائكته بعبده أي سبحان الذي جعل ملائكته ساريةً بعبده. وليلاً منصوب على الظرف، وفائدة ذكره مع وضوح أنّ السري لا يكون إلاّ في الليل الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء .

خامساً/التقديم والتأخير:

يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني– في بيان أهمية التقديم والتأخير [3]– هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.

و المدرس في تفسيره تحدث عن التقديم والتأخير ومن ذلك:

أولاً: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(البقرة: ٦٧)، قال المدرس:[4] إن أول هذه القصة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ ﴾(البقرة:72)، فلماذا فكت

---

[1] انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر " دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2 ، 1419هـ - 1998م (106)
[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(162/5،161)
[3] الجرجاني، عبد القاهر: "دلائل الإعجاز"مصدر سابق(85)
[4] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن((198/1)

عنه؟ والجواب: أنّ المقصود هنا بيان نعم الله تعالى على بني إسرائيل وكفرانهم لنعمه العظيمة وذكر مساوئهم الجسيمة. وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾..... للآيات وجوه عديدة منها، فقدَّم ذلك وأخر هذا للاهتمام بفضح بني إسرائيل وسوء أحوالهم أمام رسولهم المؤيد بالمعجزات وإفهام خلفهم وجوه مخالفات سلفهم وانتقام الله منهم حتى يعتبروا بها فإنها عبرة للمعتبرين.

ثانياً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٨)قال المدرس[1]: أي وأهلكنا . وإنما قدم قارون للدلالة على أن الاغترار بالمال ربما أفحش يكون من الاغترار بالسلطنة والجاه ، ولتسلية الرسول ﴿ﷺ﴾ في ابتلائه على أيدي أقاربه وذلك لأن قارون كان ابن عم موسى أو ابن خالته ، ومع ذلك حفر له بئراً يضيع فيه شخصه وشرفه ، ولكن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

المطلب الثالث: علم البديع: "وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام" [2] بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.[3] ومنه:

1 –**القلب:** وهو أن تساوي قراءة اللفظ من أوله إلى آخره قراءته من آخره إلى أوله [4]

ومن ذلك ما أورده المدرس عند قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(يس:الآية ٤٠) قال المدرس [5]: وفي قوله تعالى: (كل في فلك)صنعة بديعة تسمى القلب ، وهو أن تساوي قراءة اللفظ من أوله إلى آخره قراءته من

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (265/6)
[2] التفتازاني، سعد الدين "مختصر المعاني"، دار الفكر، الطبعة : الأولى 1411هـ(165)
[3] القزويني:" الإيضاح في علوم البلاغة" مصدر سابق(317)
[4] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(442/6)
[5] المصدر السابق (442/6)

آخره إلى أوله . وفي هذه الصنعة إشارة إلى أن حركتهما بالاستدارة لا على الاستقامة .وما أشار إليه المدرس حقيقة علمية، ومن القلب قوله تعالى: و(ربك فكبر).

2 – الفاصلة: ونعني بالفاصلة: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها. ونعني برأس الآية: نهايتها التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية، ولهذا قالوا: "كل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين"، لأن رأس كل آية يفصل بينها وبين ما بعدها.

ومثل هذا قد يُسمى في كلام الناس سجعًا على النحو المعروف في علم البديع، ولكن كثيرًا من العلما ء لا يطلق هذا الوصف على القرآن الكريم سُمُوًّا به عن كلام الأدباء، وعبارات الأنبياء، وأسلوب البلغاء وفرّقوا بين الفواصل والسجع، بأن الفواصل في القرآن: هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة لذاتها.
أما السجع: فهو الذى يُقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، لأنه: موالاة الكلام على وزن واحد[1]

وقد أشار المدرس إلى قضية وقوع السجع في القرآن الكريم ، ورجح وقوع ه ، وهو يسميه بالفواصل بدل السجع ، ويظهر ما قلت من خلال الم ـثال التـالـي: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر: ٥٤)، قال المدرس[2]: (إن المتقين)أي من العقائد والأعمال السيئة (في جنات) عظيمة الشأن (ونهر)أي وفي أنهار وإفراد اسم الجنس لرعاية الفواصل .

وفي قول المدرس :(لرعاية الفواصل) دليل على ترجيحه القول بوقوع السجع في القرآن ومراعاته ، والمسألة خلافية كما هو معروف ، وَالراجح.[3] فيها هو: أنَّ الْفَوَاصِلَ مُلْتَزَمَةٌ

---

[1] انظر: القطان، مناع:" مباحث في علوم القرآن "، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة : الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م (153)

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن((231،232/7)

[3] انظر المسألة في تفسير النار، محمد رشيد بن علي رضا ،(11/2) الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر : 1990 م

فِي الْقُرْآنِ لكِنْ بغَيْرِ أَدْنَى ضَرُورةٍ ، ولَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ تَكَلُّفٌ بِتَرْجِيحِ اللَّفْظِ عَلَى بَلَاغَةِ الْمَعْنَى ، وَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف:الآية ١٢٨) وقَوْلِهِ تعالى:﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢).

والمدرس يعطي أهمية بالغة لهذا الفن ، فتفسيره مليء بفقرات متّحدة الوزن ، وهذه الفقرات من تفسير المدرس دليل على ما قلت.

يقول المدرسوهو بصدد الحديث عن قصة إبراهيم ﴿ﷺ﴾ عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء:الآيتان ٦٦ – ٦٧)،(هذه المناظرات القولية ،والأحداث العملية التي وقعت بينه وبين أبيه وقومه ، ثم اشتهر الأمر واستفحل الخطر ، وراجعوا الملِك حول الموضوع ، واستقر الرأي على إحراقه بالنار ،وجعل ذرّات جسده كالغبار ، ليعتبر به أهل الديار ،فقالوا :حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، فأوقدوا ناراً من حطب الشمال ، وكان لهيبها يعلو على التّلال ، ولم يقدروا أن يقتربوا منها ،فجعلوه في (منجنيق) منصوب على مرتفع مشرف على وادي النار ، فرموه به إليها و ألقوه فيها ، حتى لا يبقى إلا القليل من الآثار ، فحفظه الحفيظ العليم.) [1]

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(253/1)

الفصل السادس

القضايا العقدية ومنهج المدرس فيها

المبحث الأول: قضايا الإلهيات

المطلب الأول: - الأسماء والصفات

المطلب الثاني: - الرؤية

المبحث الثاني:قضايا النبوات

المطلب الأول:- عصمة الأنبياء

المطلب الثاني:- إبراهيم وربوبية الكواكب :

المطلب الثالث: - تبرئة سيدنا سليمان

المبحث الثالث: مسائل عقدية متفرقة

المطلب الأول:- موقف المدرس من التوسل

المطلب الثاني:- موقف المدرس من الولاية

المطلب الثالث:- رأي المدرس في مسألة أفعال العباد والكسب والاختيار

الفصل السادس

القضايا العقدية ومنهج المدرس فيها

تمهيد

العقيدة الصحيحة أمر ضروري ومهم جدا، وهي قاعدة وأساس ومنطلق لكل باحث وكاتب؛ ذلك أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هي أول أركان الإسلام ودعائمه. ولذا كان الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام أول ما يدعون إليه الأمم، العقيدة الصحيحة، حيث لا فائدة لبقية الأعمال من عبادات وتصرفات، إن لم تكن قائمة على أساس صحيح سليم.

وقد اشترط العلماء للمفسر شروطا منها صحة المعتقد وسلامته، حتى لا يقدم على تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى، إلا من كان أهلا لذلك، وقد أشار السيوطي إلى هذا المعنى فقال: وقال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره: "القول في آداب المفسر" : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين! ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى[1].

والرؤية الواضحة في فهم العقيدة، تجعل المفسر لا تشتبه عليه الآيات ولا تختلف، بل يرد كل فرع إلى أصله، وكل متشابه إلى محكمه.

وإذا كان كذلك فإن العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي ينطلق منه المفسر ويبني على ضوئها تفسيره، حيث إننا نجد عددا من المفسرين وقد برزت وظهرت عقائدهم واضحة جلية من خلال تفاسيرهم.

ومبحث العقيدة من المباحث الشائكة المحفوفة بالمخاطر، فقد كثر الخلاف وبلغ الجدل أشده بين العلماء حول هذا العلم، وأصبح كل طرف يزعم أنه على صواب وحق وحده وغيره على خطأ وباطل، وهذا قمة التطرف والغلو في الدين، أن تلزم الناس بما تراه أو بما لم يلزمهم به الشرع هو عين الخطأ.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن: ج2ص351.

وقد عرض الشيخ في تفسيره لبعض القضايا العقدية، سالكا مسلك الخلف، كما سيظهر لنا ، وكما لا يفوتنا أن نذكر بأن المدرس ألّف كتابين في العقيدة هما:جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام[1] ، و خلاصة منظومة جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام [2] .

وفيما يلي سأتناول تفسير المدرس لبعض آيات العقيدة ، للوقوف على منهجه واتجاهه في ذلك ، وبيان موقفه من بعض القضايا العقدية ، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: قضايا الإلهيات

المبحث الثاني: قضايا النبوات

المبحث الثالث: قضايا عقدية متفرقة

---

[1] ضمن الكتاب مباحث مهمة منها أسباب تأليف علم الكلام ،والفرق الإسلامية ، وشروط الإيمان ، والاستدلال على وجود الله ، صفات الله تعالى وأسمائه ، الكسب ،التكليف الاستطاعة، الرؤية...و الكتاب متداول مطبوع في بغداد: دار الحرية للطباعة ،1993م

[2] هذا الكتاب اختصر فيه كتابه جواهر الكلام ، وهو متداول طبعته مطبعة الجاحظ ببغداد ، 1992م

المبحث الأول

قضايا الإلهيات

ذكر القرآن الكريم أسماء عديدة لله سبحانه وتعالى وصفات كثيرة، وأسماء الله كلها حسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وصفاته كلها صفات الكمال المطلق، لأنه سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص وعيب، ولا يشبه أحداً من خلقه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

ويتضمن هذا المبحث بعض ما يتعلق بصفات الله تعالى خاصة تلك التي اختلف فيها وتعرض لها المدرس بالبيان ، وهذه المطالب بيان لمنهج المدرس وموقفه من هذه القضايا.

المطلب الأول: الأسماء والصفات:

صنف المدرس آيات الصفات ضمن المتشابه الذي يدرك معناه الراسخون في العلم فقد جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران:الآية 7)، قال المدرس[1]:...ومثال القسم الثاني من المتشابه أي ما كانت دلالته خفية، ولكن يفهمها الراسخون في العلم : فواتح السور وآيات الصفات وسائر المجملات من المشترك وغيره...إلى أن يقول : ولا يعارض ما قلنا من إدخال فواتح السور وآيات الصفات في القسم الثاني من المتشابه وأنه يعرفه الراسخون..ما نقل عن كثير من السلف من جعلها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله بقرينة أن الخلف خالفوهم وجعلوها مما يدرك بالعلم الراسخ وأولوها بتأويلات مناسبة لنزاهة الباري جل شأنه ؛ فإن ذلك دليل على أنها ليس مما استأثر الله تعالى بعلمه ولكنها دقيقة جداً يعلم تأويلها الراسخون جداً في العلم ، بل الراسخون يعلمونها كأجلى البديهيات.

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (146/2)

والمدرس ينفي دخول آيات الصفات ضمن المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه كما هو مذهب السلف . فالمدرس يعلن ضمناً تبنيه رأي الخلف، وهو مسلك التأويل في آيات الصفات ، ويؤكد هذا بقوله: (وحاصل المقصود :أن جعل آيات الصفات من المتشابه لا يقدح في ضبطنا لها، وإدخالها في القسم الثاني ؛ لأنها على أي حال ليست من القسم الأول الذي استأثر الله تعالى بعلمه إجماعاً . فإن للخلف فيها دعوى المعرفة والتأويل بحيث يناسب عظمة ذاته الجليل . وتفويض السلف إليه تعالى رعاية للأدب الكامل في المقام والله أعلم بحقيقة المرام .) [1]

وأمثل لتأويل المدرس– رحمه الله– بما فسّر به الفوقية ، والاستواء.

1/ الفوقية: لقد تناول المدرس هذا الموضوع عند تفسيره لقوله تعالى [2]: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(الأنعام: ١٨)، فقال رحمه الله: " (وهو القاهر)أي الغالب المستولي (فوق عباده) فوقية الغالب على المغلوب ، وفوقية المعين على المكروب، وفوقية الناجح الحائز على المطلوب. لا فوقية زيد على السطوح، بل فوقية الفاتح على المفتوح فإنّ الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة تدل دلالة ليس فيها شبهة أنّ الله تعالى أزلي قبل كل موجود قبل الزمان والمكان، وقبل حركة الفلك بالدوران، وقبل وجود السماء والكواكب والأرض وسائر الأكوان. الفوقية النسبية باعتبار ما هو المعتاد ممتنع في حقه تعالى. والاستدلال بظاهر الآثار والإسناد عادة من لا ينظر إلى برهان الرشاد، ويكتفي بالظنون حسب المعتاد. وأنى هذا من ذلك!

ثمّ بين المدرس مذهبه في ذلك كله فقال [3]: وكل ما ورد من الأحاديث الشريفة الظاهرة في إسناد الفوقية إليه تعالى فليس على معنى ثبوت الجهة والجانب، وأن يكون هو فوق شيء فوقية مكانية، بل إنما هي من الآيات المتشابهة المفوضة إلى علم الله تعالى ونسلمها بدون البحث عنها، أو أنها مؤولة على قاعدة الخلف بتأويلات مناسبة أظهرها وأنورها فوقية الغلبة والقدرة، كما أنّ قوله تعالى :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ ﴾ (الحديد: ٤)،وقوله تعالى:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (المجادلة:٧)،وقوله

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (147/2)

[2] المصدر السابق (242/3)

[3] المصدر السابق (242/3)

تعالى:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(ق: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٥)، عبارة على ارتباط علمي وسيطرة من جهة القوة والقدرة بل يقول الإمام حجة الإسلام الغزالي – رحمه الله – إنها ليست من الآيات المتشابهة، بل كلها كنايات عربية مفهومة لأهل العرف العام. ورفع الأيدي إلى السماء ليس إلا لاعتبار الشرف في العلو والفوقية

2/ الاستواء: ويدل على مذهبه أيضاً ما فسر به قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(الرعد:٢)، قال المدرس [1]:" قوله تعالى:(ثم استوى على العرش)أي استولى عليه . أو على معنى آخر أراده الله تعالى موافقا لنزاهته من التحيز والتمكن ومن الحاجة إلى ما يماسه وغير ذلك مما لا يليق بذاته الواجب الوجود. وهذه المفاهيم واضحة ظاهرة لكل ذي عقل وإدراك وبصيرة. أما كشفها والإحاطة بما فيها فهو عائد إلى الله سبحانه وتعالى. ويقول المدرس [2] عن الاستواء وأمثاله من الصفات عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(طه: ٥)، وهذه الجملة المهمة المهيبة بدلالتها على استيلاء الرحمن على العرش وما تحته وأمثالها من قوله ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(المائدة: ٦٤)، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(الحديد: ٤)، وغيرهما فيها للمفسرين رأيان:

أحدهما: أنها مجازات مستعملة في التصرف في معانيها المقصودة من استيلاء الباري ووجود قدرة البسط والقبض له، وإحاطة علمه بسائر المعلومات إلى غير ذلك فإنّ الله تكلم بها مع الناس العقلاء ولهم عرف معروف في المراد بها.

والثاني: أنها باقية على معانيها الحقيقية، والإيمان بها واجب لكن تفويض المراد إلى خالق العباد وتجريدها عن لوازمها الموجبة للجسمية والتمكن في المكان وغيرهما، بدليل

---

(1) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (7/5)

(2)المصدر السابق (342،343/5)

الآيات المحكمات والأخبار الناطقة بأنه تعالى لا يحويه زمان ولا مكان وليس له أجزاء واحتياج إليها، وإلا فكل عاقل يؤمن بأن العرش وما سواه حادث فهل كان الله تعالى قبل خلق العرش في مكان آخر ثمّ تحول عنه إلى العرش؟ وإذا هو في السماء فأين كان قبل خلق السماء؟ ثم هو في السماء أي قطرٍ من الأقطار؟ تعــالى الله عن ذلك علــوا كبيرا، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(الشورى: ١١)،﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(الإخلاص: ٤)، وهو غني عن العالم والعالمين. فالحق أنها مجازات لمرادات مخصوصة للقرائن العقلية المحيطة بالموضوع، وإذا لم تحصل عليها فلا بد أن يؤمن بها مع تنزيه الباري عن ما يناسب الممكنات الخاصة.

بهذا يتبين أن المدرس أشعري العقيدة وإن لم يصرح بهذا في تفسيره فقد صرح به في كتابه جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام [(1)] ودافع عنه ، وتفسيره هذا خير دليل على تطبيقه لقواعد الأشاعرة والانتصار لهم .

ويبقى الخلاف في المسألة مستمراً والله أعلم بالصواب، والأولى أن يسعنا في هذا المقام ما وسع سلف هذه الأمة لأنه الأسلم ، كما قال الإمام الشوكاني [(2)] – رحمه الله – (فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور في شيء من المقال، فمن

[(1)] قال المدرس: (فقام في رد ضلال المفتري إمامنا أبو الحسن الأشعري) ، انظر:المدرس، عبد الكريم : "جواهر الكلام في عقايد أهل الإسلام"،دار الحرية للطباعة بغداد 1414هـ 1993م ص16

[(2)] الشوكاني(1173 – 1250 هـ = 1760 – 1834 م) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد.له 114 مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار – ط) ثماني مجلدات، و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – ط) مجلدان، و (الأبحاث العرضية، وفي الكلام على حديث حب الدنيا رأس كل خطية – خ) كان في المكتبة العربية، ولعله آل إلى الظاهرية في دمشق. و (إتحاف الأكابر – ط) وهو ثبت مروياته عن شيوخه، مرتب على حروف الهجاء، و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة – ط) و (التعقبات على الموضوعات – خ) و (الدرر البهية في المسائل – الفقهية – خ) و (فتح القدير – ط) في التفسير، خمسة مجلدات، و (إرشاد الفحول – ط) في أصول الفقه، و (التحف في مذهب السلف – ط) رسالة، ...وغيرها،ينظر الأعلام للزركلي(298/6).

جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة) [1]

المطلب الثاني: الرؤية

ويندرج تحت هذا المطلب قضيتان اختلف فيهما العلماء، وقد تعرض لهما المدرس بالتفصيل وبين فيهما رأيه .

القضية الأولى: رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة ، والقضية الثانية :إمكان حدوث الرؤية في الدنيا،وهل رأى الرسول ربه ليلة الإسراء والمعراج؟ . وفيما يلي بيان لهما.

القضية الأولى: رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة : يذهب المدرس في هذه المسألة مذهب أهل السنة والجماعة، فيعتقد برؤية الله تعالى في الآخرة ، ويستدل لذلك بالقرآن والسنة، وينتقد أدلة المخالفين من المعتزلة وغيرهم.

قال المدرس مستدلاً على تحقق الرؤية في الآخرة عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(القيامة: ٢٢ – ٢٣)، "والجمهور يستدلون بهذه الآية الجميلة على وقوع رؤية الله في الآخرة بالعيون.

ثمّ نسب المدرس نفسه لجمهور المسلمين فقال: فنحن جمهور المسلمين نؤمن برؤية الباري تعالى بأعيننا في الآخرة استناداً على هذه الآية والحديث الشريف."[2]

والمدرس يشير إلى الحديث الصحيح والذي رواه البخاري:" عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ».

قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ». قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ "[3]

وأقول: وهذا الرأي عليه جمهور العلماء وهو الراجح والله أعلم وأحكم.

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي:" التحف في مذاهب السلف"، الناشر: دار الهجرة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1408 – 1988،ص77،78

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(7/441-442)

[3] انظر:البخاري "الجامع الصحيح "(8/147)رقم الحديث:6573

ويرد المدرس قول المعتزلة القاضي بنفي الرؤية في الدنيا والآخرة،وينتقد أدلتهم، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، "(لا تدركه الأبصار) المودعة في الوجوه في هذه الدنيا، وإنما تدركه الأبصار المودعة في وجوه الوجهاء في الآخرة، ووجهاء الآخرة من وجّه وجهه في حياته إلى ذاته وصفاته، ونظر إلى رحمته وهباته، وترك محرماته، وأدى واجباته، وفيهم قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢ – ٢٣) ، وإنما فسرنا الآية على الوجه المذكور لأنه لا يجوز حملها على السلب الكلي المستغرق للأزمنة والأمكنة والأحوال مع أفراد الموضوع، وإلا لزم أن لا ترى ذاته الشريفة عين في الدنيا ولا في الآخرة لا من المؤمن ولا من الكافر، وليس الأمر كذلك لأنه قد تقرر الآية بحملها على رفع الإيجاب الكلي، أي لا تدركه كل الأبصار، وإنما تدركه بعض الأبصار، وذلك لوجود الدليل على رؤيته تعالى في الدار الآخرة كالآية المذكورة سابقا– (القيامة 22–23) ، ولحديث: (إنّكم ستوون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)[1]، وهذا الحديث رواه الكثيرون من الصحابة – رضي الله عنهم –، وكما أفاده بقوله الكريم: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(يونس:الآية٢٦)[2]

والحق الذي أدين به إلى الله تعالى، وأدعو إليه، أن رؤية الحق سبحانه و تعالى يوم القيامة ثابتة، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى، لا تقبل تحريفا ولا تأويلا.

ومن الأخبار الصحيحة في هذا الباب ما رواه الإمام البخاري في صحيحه.[3]

وروى الإمام مسلم في صحيحه قال [4] : حدثنا زهير بن حرب حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد حدثنا قيس بن أبي حازم قال سمعت جرير بن عبد الله وهو يقول: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال أما إنكم

---

[1] الترمذي "الجامع الصحيح =سنن الترمذي " (688/4) ، رقم الحديث: 2554

[2]انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(300/3)

[3] "صحيح البخاري": كتاب الرقاق, باب الصراط جسر جهنم, ج5ص2403 برقم 6204

[4] "صحيح مسلم": باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ج1ص439, برقم 633.

سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه :130).

القضية الثانية :إمكان حدوث الرؤية في الدنيا : والمدرس يرجح إمكان رؤية الله في الدنيا، فيقول[1]: واستدل أهل السنة على جواز رؤية الباري سبحانه وتعالى في هذه النشأة بهذه الآية من وجهين:

الأول: أنها لو لم تكن ممكنة ما سألها موسى عليه السلام، لأنّ الرسل الكرام لا يطلبون المستحيل من الله تعالى، لأنّ طلب المستحيل خارج عن الأدب.

والثاني: أنّ الله تعالى علق رؤيته لذاته العلية باستقرار الجبل عند ظهور التجلي وذلك أمر ممكن والمعلق بالممكن ممكن. والمنكرون ردوا الأول بأنه ليس من الواجب للرسل عليهم السلام العلم بدقائق الأعمال والأحوال للباري فيجوز أنّه لم يكن عند ذلك عالما بالامتناع. والثاني بأنّه تعليق بالاستقرار عند التجلي، والاستقرار عند التجلي ممتنع. وعورض بأنّ الممتنع الاستقرار بشرط التجلي لا في وقت التجلي، وهذا ممكن .

بل المدرس يذهب إلى أبعد من هذا ، فيثبت رؤية الرسول محمد ﴿ ﷺ ﴾ لربه ليلة الإسراء والمعراج ، وذلك حين فسر قوله تعالى :﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم: ٥ – ١٨)، فذكر تفسيرين لهذه الآيات:

الأول : يقضي برؤية الرسول﴿ ﷺ ﴾ لجبريل ﴿ عليه السلام ﴾ .

الثاني: يقضي برؤية الرسول﴿ ﷺ ﴾ لربه﴿ عز وجل ﴾

ورجح المدرس التفسير الثاني فقال: والذي رآه المحققون المحقون المصنفون الناظرون إلى سرد العبارة، وانتظام الضمائر، وتقرير معنى الإيحاء على الوجه المناسب، هو ما قاله

[1]انظر: مواهب الرحمن فقي تفسير القرآن(26/4)

الحسن البصري – رضي الله تعالى عنه– وتبعه أناس كثيرون، ونقله صاحب روح البيان وروح المعاني من أنّ الكلام جار على ما جرى بين الله ورسوله ﴿ ﷺ ﴾ .

فعن الحسن: أنّ شديد القوى هو الله تعالى، وجمع القُوى للتعظيم، وذو مرة بمعنى ذي حكمة وما يليق أن يكون وصفا لله عز وجل. وجعل أبو حيان الضميرين في قوله تعالى فاستوى وهو بالأفق الأعلى على ما روى عن الحسن له سبحانه وتعالى وقال: إن ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان، ولعل الحسن يجعل الضمائر في قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم: ٨–١٠)، له عز وجل أيضا. وكذا الضمير المنصوب في قوله﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ (النجم: ١٣)، فقد كان عليه الرحمة يحلف بالله تعالى لقد رأى محمد﴿ ﷺ ﴾ ربه،وفسر دنوه تعالى من النبي﴿ﷺ﴾ برفع مكانته ﴿ ﷺ ﴾ عنده وتدليه بجذبه بكليته إلى جانب القدس. وهذا المعنى هو الذي يطمئن له قلبي وأعتقد أنّ هذه الآيات تنطبق على حادثة المعراج الشريف. ورؤية ذات الباري في عالم الآخرة ثابتة على ما اعتقده أهل الحق من المتكلمين، فتكون من الممكنات الخاصة والماهية الممكنة لا تنقلب إلى الممتنع فيمكن أيضا أن يرى في الدنيا. وظاهر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾(النجم: ١٣ – ١٤) يدل عليها، ولا ضرورة إلى التأويل، وأما كيفية رؤيته له تعالى فموكول إلى علم الله الجليل. وهذا هو الذي يفيده سرد ظاهرة الآيات الشريفة والله أعلم. [1]

لكن هذا التفسير الذي ارتضاه المدرس ورجحه يخالف الرواية الصحيحة الثابتة عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–.

فقد روى الإمام مسلم بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ" كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ مَا هُنَّ قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﴿ ﷺ ﴾ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (التكوير: ٢٣)﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ (النجم: ١٣)، فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(211،212/7)

﴿ ﷺ ﴾ فقَالَ « إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ». فَقَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣)،أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(الشورى: ٥١) قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ ﷺ ﴾ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (المائدة: ٦٧). قَالَتْ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(النمل: ٦٥) ."[1]

فهذا الحديث المرفوع للنبي ﴿ ﷺ ﴾ نص في نفي رؤية النبي ﴿ ﷺ ﴾ لربه، كما أن هذا الحديث أيضاً هو تفسير مأثور عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ لهذه الآيات من سورة النجم فلا نتعداه ، وفي الصحيح عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﴿ﷺ﴾رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ.[2] فما ذهبت إليه أمنا عائشة رضي الله عنها هو الراجح والله تعالى أعلم .

ومسألة إمكانية وقوع الرؤية في الدنيا لم نكلف البحث فيها؛ فتركها أولى من الخوض فيها.

---

[1] مسلم "الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم "(110/1)

[2] انظر "صحيح البخاري" ، باب كتاب بدء الوحي، (140/4)

المبحث

الثاني:قضايا النبوات

من المسائل العقدية المهمة: ما يتعلق بالأنبياء والرسل وهي مسائل عظيمة القدر لأنها تتعلق بأشرف خلق الله ، وقد بحثها العلماء قديماً وحديثاً ،وبينوا ما يجوز وما يستحيل في حقهم.

والمدرس في تفسيره أورد مسائل عقدية كثيرة منها ما يتعلق بالنبوات والرسالات ، وفي هذا المبحث سنورد بعض هذه المسائل لنبين منهج المدرس ورأيه فيها.

المطلب الأول: عصمة الأنبياء

من المسائل العقدية المهمة التي أبرزها المدرس وبينها ، مسألة العصمة وهي مسألة جليلة ودقيقة .

ومعنى عصمة الأنبياء : "أن لا يخلق الله فيهم ذنباً مع وجود الدواعي النفسية عندهم ، فإنهم بشر والبشر كما ينام ويقوم ويأكل ويشرب ويأتي ويذهب كذلك توجد عنده شهوة اللذائذ وما تريده النفس الإنسانية ولكن لا يخلق في قلوبهم ، ولا في قوالبهم منها كل ما لا يرضى به الله تعالى . "[1]

وحتى تتميز عصمة الأنبياء عما تتصف به الملائكة من مقتضيات الخلقة قال المدرس:"...ومعنى ذلك أنه توجد عندهم ملكةٌ تملك حواسهم ومشاعرهم وأركانهم من فعل ذنب أو ارتكاب جريمة على ما يأتي إن شاء الله وليس معناه أنه يمتنع عنهم صدورها ، وإلا كانت من مقتضيات الخلقة كالملائكة ، فما كانوا مثابين على الترك ، ولا ممدوحين على الفعل . "

وبيان المدرس لهذه القضية في غاية الأهمية ؛ لأنه يترتب على مشابهتهم للملائكة انتفاء التكليف عنهم وهذا لا يمكن .

وفي بيان الأمور التي عصم منها الأنبياء قال المدرس:"وخلاصة القول المختار:أنهم معصومون عن الكفر بأنواعه وعن تعمد ارتكاب الكبائر قبل النبوة وبعدها ،وعن تعمد

---

[1]انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (146/1)

الكذب لاسيما في الأحكام التبليغية ،وعن الصغائر الدالة على خسة مرتكبها،وعن تعمد الصغائر وغيرها بعد النبوة عند كثيرين"[1]

واستدل المدرس على عصمة الأنبياء بأدلة متعددة ومتنوعة أذكر منها:[2]

الأول:أنه لو صدر عنهم الذنب لحرم إتباعهم فيما صدر عنهم ضرورة أنه يحرم ارتكاب الذنب مع أن اتباعهم واجب بالإجماع ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١)

الثاني: أنهم لو أذنبوا لردّت شهادتهم ، ومن لا تقبل شهادته في الدنيا فكيف تسمع شهادته في الدين.

الثالث: أنه لو صدر عنهم الذنب لوجب زجرهم لأن النهي عن المنكر واجب ، وزجرهم إيذاء لهم ، وإيذاؤهم حرام .

الرابع: أنه لو صدر عنهم الذنب لكانوا أسوأ حالاً من عصاة الناس ؛ إذ يضاعف لهم العذاب بسبب علو مقامهم.

الخامس: أنه لو صدر عنهم الذنب لم ينالوا عهد النبوة والرسالة. قال تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤)

السادس: أنه لو صدر عنهم الذنب لكانوا غير مخلصين ؛ لأنه إغواء الشيطان ، والشيطان لا يغوي المخلصين.

وحتى يكون المسلم على بينة مما يُنسب للأنبياء يقول المدرس:"فما نسب إلى حضراتهم مما يوهم خلاف العصمة على ما ذكرنا إن كان من أخبار الآحاد فمردود ، وإن كان من غيرها فمؤول بصدورها بطريق الخطأ الاجتهادي أو السهو ، أو النسيان، أو أنها كانت خلاف الأولى وجرى عليها عتاب . كما بين الأحباب. أو أنها كانت قبل النبوة غير لازمة كما ينسب إلى سيدنا آدم عليه السلام؛ لأن الراجح أنه لم يكن نبيا قبل الهبوط إلى الأرض والأمر والنهي المتوجهان إليه كانا على العادة كما تكلم الباري مع الملائكة في تطبيق الأمور وإنزال الأوامر ...على أنه إذا لم يكن شرع ودستور، فلا مخالفة فلا ذنب فكيف يعد

---

[1] مواهب الرحمن في تفسير القرآن (146/1)

[2] المصدر السابق (146/1،147)

ذنبا قضاء سيدنا موسى على الرجل القبطي الصائل على مسكين من المساكين ؟ وإن كان دفع الصائل واجبا لكنه بحسب الشرع ولم يكن إذ ذاك شرع كما هو معلوم."[1]

وبعض التفاسير أوردت قصصاً تقدح في عصمة الأنبياء –عليهم السلام– والمدرس – رحمه الله – أشار إلى هذه القضية ونبّه عليها . فقد بين معنى الخيانة في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(التحريم: ١٠)، قال المدرس[2]: وخيانة امرأة نوح هي أنه كانت تقول بالنسبة إلى نوح عليه السلام إنّه مجنون، وخيانة امرأة لوط هي أنها كانت تدل أهل القرية المفسدين على الضيف الوارد على سيدنا لوط، فإنّ الله سبحانه وتعالى كما عصم الأنبياء عليهم السلام من الذنوب لمخالفتهم لمقام الرسالة كذلك عصم أهلهم من الفجور والفسوق لإخلالهم باحترام البيت النبوي. وكل ما يقال أو يروى من ذلك الباب دس ووضع وافتراء على مقام الرسالة والنبوة، فإياكم وإياها، فإنّ الناس ناسون لحقوق الله تعالى وأنبيائه ورسله ويتكلمون كما يريدون.

كما يذهب المدرس إلى الاعتقاد بعصمة الأنبياء قبل البعثة، ويدلل لذلك فيقول [3]:وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، دليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة؛ لأنّ معنى الآية الشريفة أنّه لا ينال عهد الإمامة بمعنى النبوة والرسالة مَن كان حال وصول العهد إليه ظالما، والظلم إذا أطلق ينصرف إلى الكبائر من الكفر وما دونها من سائر الذنوب الكبيرة.

المطلب الثاني:– إبراهيم وربوبية الكواكب

جاء في قصة إبراهيم(عليه السلام) قوله بربوبية الكواكب، والقمر، والشمس ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٦)، وتوهم بعض الناس أن قول إبراهيم(عليه السلام) عن النجم ، ثم القمر ، ثم الشمس: **(هذا ربي)** كان عن

---

[1] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (147،148/1)

[2] المصدر السابق (7/ 364 ، 365)

[3] المصدر السابق (257/1)

اعتقاد منه بألوهيتها ، وهذا ضلال كبير لأن الأنبياء معصومون عن عبادة غير الله تعالى قبل النبوة وبعدها ، فكيف يكون فهم الآية ؟

أجاب المدرس في تفسيره عن هذا الإشكال بوجوه متعددة كلها مناسبة لحل هذا الإشكال ، ولمخافة التطويل سأقتصر على ذكر الوجه الذي اختاره المدرس ورآه مناسباً للمقام من هذه الوجوه .[1]

قال المدرس: (وقال بعض المحققين: التحقيق في الموضوع هو أن الكفر والإيمان وصفان متقابلان تقابل التضاد، إن الكفر هو العناد والجحود بذات واجب الوجود . والإيمان هو الإذعان والتصديق به وبوحدته واستحقاقه للعبادة وأنه خالق لكل موجود. فهما كالسواد والبياض لا يجتمعان في محل واحد لتضادهما، ولكنهما قد يرتفعان ، فكما أن الأجسام اللطيفة كالهواء ليست بأبيض ولا أسود كذلك من لا يكون فيه إيمان ولا كفر كمن نشأ في محل لم تبلغه الدعوة الإسلامية وبقي خالي الذهن منهما فإنه ليس بمؤمن ولا كافر، وكذلك المجنون والصبي غير المميز فلا ينسب إليه منهما إلاّ بتبعية الدار أو الوالدين أحدهما أو كليهما. وأما المميز الدارس له فإنه يتصف بواحد منهما واقعا ولكنه لا تجري عليه الأحكام التكليفية المترتبة على البالغ ولا تجري عليه أحكام الحدود وأمثالهما مما يتعلق بالتكليف، وإن ترتب عليها الأحكام الوضعية كالغرامة لما أتلفه. فالصبي المميز الدارس المتفكر في الموضوع إذا نظر في الآفاق والأنفس وتفكر في آثار الخالق في الكائنات فربما استرشد إلى الاستدلال على وجود الصانع الواجب الوجود ، وما دام هو يتفكر في هذا الشأن ربما ينتقل من طور إلى آخر من الظن إلى الاعتقاد ثمّ إلى اليقين، وإذا قلنا: له درجات ، فهو يتحول بين درجاته إلى أن يصل إلى علم اليقين بل عين اليقين ، بل حق اليقين، فهو في هذه المجالات ، وإن كان في أوائل الاعتقاد لا يقال له إنه مؤمن لعدم التيقن ولا إنه كافر ؛ لأنه غير جاحد ولا معاند ، وإنما هو متفكر مسترشد يطلب الرشاد من الله سبحانه وتعالى. فشأن سيدنا إبراهيم(عليه السلام) في ذلك المجال وتكلمه بذلك الكلام ما دام كان أثناء البحث عن الخالق الخبير الصانع القدير لا يوجب القول بأنه عليه وبال وعنده شيء مما لا يناسب قدره، لأن القدر إذا لم يمتلئ لم يفض منه شيء.)[2]

وهذا التحقيق الذي ساقه المدرس حري بالقبول ، ومناسب لدفع الشبهة، لكني أرى المناسب لسياق الآيات من هذه الأوجه أولها وهو أن قول إبراهيم (عليه السلام)كان على وجه

---

[1] انظر هذه الوجوه بتمامها في تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن (3/280،279،281،282)

[2] المصدر السابق (3/280،279)

التسليم الجدلي بقول الخصم مع العلم بأنه باطل ، ثم استدرجه إلى أن أبطله بالحجة ، وقد سمى الله تعالى فعل إبراهيم هذا (حجة) في قوله:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٨٣): فالسياق ليس سياق البحث والتأمل بل هو سياق المحاججة ، والله تعالى أعلم .

المطلب الثالث: تبرئة سيدنا سليمان ﴿ عليه السلام ﴾ :

لما فسر المدرس –رحمه الله– قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٢)، أشار إلى التنبه لما يُنسب في هذا الباب إلى النبي الكريم سليمان ﴿ عليه السلام ﴾ فقال[1] :وكل ما ينسب إلى سيدنا سليمان في هذا الباب مما لا يليق بمقام الرسل الكرام، فهو من اختلاقات اليهود اللئام، حتى إذا روي شيء يوهم شيئا من ذلك وجب تحقيقه، فإنّ من كان من زمرة المرسلين الأخيار بريء من كل وجه عما ينسبه إليه الفساق الأشرار، وليكن المسلم العاقل على بصيرة والله يهدي إلى سواء السبيل.

وهذا التنبيه من المدرس حري بالقبول ، ويرد ما جاء في بعض التفاسير من قصصٍ تتنافى و عصمة الأنبياء .[2]

---

[1] انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (225/1)

[2] ومن هذه القصص المختلقة على سيدنا سليمان ﴿ عليه السلام ﴾ –على سبيل المثال– ما أورده ابن كثير عند تفسيره لسورة ص الآية 34،(66/7)

المبحث الثالث

مسائل عقدية متفرقة

شخصية المدرس بارزة وجامعة وحافظة حين يكتب في القضايا العقدية ، وهو لا يتردد في إعلان رأيه ، وبيان موقفه . كما أنه يذكر أدلته ، وتمتاز بالتنوع والكثرة. والمدرس بارع في مناهج وأصول المتكلمين ؛ فقد تأثر بالمنطق ، والقواعد العقلية ، والقياس ، ومنطق القضايا ، وله كتابان في علم المنطق[1].

أورد المدرس في تفسيره مسائل عقدية كثيرة منها ما يتعلق بالغيبيات وغيرها ، كالجنة والنار والملائكة والجن ، ومنها الروح والتوسل وأفعال العباد والقضاء والقدر...، بحثها وبينها، وذكر الراجح من الأقوال؛ ليكون المسلم على بينة .

وفي هذا المبحث سنورد بعض هذه المسائل لنبين منهج المدرس ورأيه فيها.

المطلب الأول : موقف المدرس من التوسل:

يرى المدرس – رحمه الله –جواز التوسل والاستغاثة ، واستدل بمجموعة من الأحاديث منها:

أولاً:روى البيهقي، وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر ﵁ ﴿ ﴾ فجاء بلال بن الحارث ﴿ ﵁ ﴾ وكان من أصحابه ﴿ ﷺ ﴾ إلى قبره وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا. فأتاه رسول الله﴿ ﷺ ﴾ في المنام وأخبره بأنهم يُسقَوْنَ . [2]

ثم قال المدرس: وليس الاستدلال بالرؤيا فإنها– وإن كانت حقا– لا تُثبت حكما، وإنما الاستدلال بفعل الصحابي وهو بلال بن الحارث ﴿ ﵁ ﴾ فإتيانه لقبر النبي﴿ ﷺ ﴾ ونداؤه له وطلبه السقيا منه دليل على أن ذلك جائز.وهو من باب الاستغاثة والتوسل والتشفع. ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

ثانيا: وروى ابن ماجه، وابن السني بإسناد صحيح عن بلال قال : قال رسول الله﴿ﷺ﴾ : "من خرج من بيته إلى الصلاة ، فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك "[3] ، وعَنْ

---

[1] أنظر مؤلفات المدرس في الفصل الأول من هذه الرسالة .

[2] ابن أبي شيبة "مصنف ابن أبي شيبة "، باب: ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب ﴿ ﵁ ﴾ (32/12)، رقم الحديث: 32665

[3] ابن أبي شيبة "مصنف ابن أبي شيبة "باب: المشي في الصلاة(256/1)، رقم الحديث: 778، قال الشيخ الألباني : ضعيف

أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ(رضي الله عنه) أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلا بَطَرًا وَلا رِيَاءً وَلا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ...استغفر له سبعون ألف ملك"[1] .

ولم يزل السلف الصالح ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة من غير نكير

ثالثاً: أخرجه البخاري في تأريخه والبيهقي في الدلائل والدعوات، وصححه أبو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي (ﷺ), فقال : يا نبي الله , ادع الله أن يعافيني , فقال : إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لأجرك , وإن شئت دعوت لك فقال : لا , بل ادع الله لي , فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين , وأن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد (ﷺ) نبي الرحمة , يا محمد , إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل في حاجتي هذه , فتقضي لي وتشفعني فيه وتشفعه في , قال : فكان يقول هذا مرارا ثم قال بعد : أحسب أن فيها وتشفعني فيه , قال : ففعل الرجل فبرئ.[2]

ثم قال المدرس: ومن أسند أمثال هذا إلى حال الحياة بشبهة أن للشخص تأثيرا في حال الحياة دون الممات، فقد أشرك من حيث لم يعلم، لأنه أسند التأثير إلى غيره تعالى من الأحياء مع أنه لا تأثير لأحد في أي شيء لا في الحياة ولا في الممات، إذ التأثير منحصر في الله تعالى. على أنه يردّ شبهة ما ذكر قبل هذا توسله (ﷺ) بالأنبياء من قبله.[3]

وبين المدرس وجه استدلاله بهذه الأحاديث حيث قال:"ومن نظر إلى هذه الأدلة علم أنه كما في الماديات سنّة ثابتة له تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب كذلك له في المعنويات سنّه كذلك كالدعاء من نفس الداعي أو من غيره لدفع الشر أو جلب الخير والصدقات لدفع البلايا والتوسل بجاه أصحاب التقوى . وإن قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥)، يشمل كل ذلك. فيجوز للمسلم أن يتشفع بالرسول (ﷺ) أو

[1] ابن حنبل ، أحمد"مسند الإمام أحمد": باب مسند بن أبي سعيد (رضي الله عنه) (21/3)رقم الحديث: 11172، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف

[2] البيهقي،" كتاب الدعوات الكبير "، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر ، منشورات مركز المخطوطات - الكويت، باب: من يستجيب للداعي مع رفع اليدين في الصلاة(325/1)، رقم الحديث: 235،تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات

[3] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (76/1،7،78)

بجاهه، أو بجاه غيره من عباده الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. "[1]

لكن بعد البحث في كتب الحديث وجدت ما استدل به المدرس مردوداً ؛ فالدليل الأول: وهو قصة الصحابي بلال بن الحارث هي قصة غير ثابتة كما قال المحدث الألباني –رحمه الله– قصة مجيء بلال بن الحارث المزني الصحابي لما قحط الناس في عهد عمر إلى قبر النبي﴿ ﷺ ﴾ ومناداته إياه :يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا .فهذه أيضا قصة غير ثابتة [2] ، فلا مجال للاستدلال بها .

وأما الدليل الثاني : وهو حديث بلال فهو ضعيف [3] وبالتالي سقط الاستدلال به أيضاً. وأما الدليل الثالث:وهو حديث أبي سعيد الخدري وهو ضعيف أيضاً[4] سقط الاستدلال به أيضاً . فلم يبق من جملة ما استدل به المدرس من الأحاديث سالماً من الضعف سوى حديث الضرير، لكنني وجدت توجيهاً نفيساً لشيخ الإسلام بخصوص هذا الحديث ، فقد جمع كل طرق هذا الحديث فبين أن في بعض طرقه زيادات فيها عدة علل، وكانت النتيجة كما قال شيخ الإسلام: " فمن الناس من يقول: هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً، وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفي مغيبه.

ويظن هؤلاء أن توسل الأعمى والصحابة في حياته كان بمعنى الإقسام به على الله أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته أن يقضي حوائجهم، ويظنون أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو هو لهم ولا إلى أن يطيعوه، فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع ، الجميع عندهم توسل به، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه.

ويظنون أن الله تعالى يقضي حاجة هذا الذي توسل به بزعمهم ولم يدع له الرسول، كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ كلاهما متوسل به عندهم.

---

[1] انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن (78/1)

[2]الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة "، للألباني، دار النشر:دار المعارف،الرياض،الطبعة،الأولى، سنة الطبع : 1412 هـ / 1992 م،(99/1)

[3] ابن ماجه:"سنن ابن ماجه"باب: المشي في الصلاة(256/1)، رقم الحديث: 778، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

[4] بن حنبل ، أحمد"مسند الإمام أحمد": باب مسند بن أبي سعيد﴿ رضي الله عنه ﴾ (21/3)رقم الحديث: 11172، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

ويظنون أن كل من سأل الله تعالى بالنبي (ﷺ) فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى، وأن ما أمر به الأعمى مشروع لهم. وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدراً، فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله.

ومن الناس من يقول: هذه قضية عين يثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناط الحكم، لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لا مماثل لها. والفرق ثابت شرعاً وقدراً بين من دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وبين من لم يدعُ له، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر، وهذا الأعمى شفع له النبي(ﷺ) فلهذا قال في دعائه: " اللهم فشفعه فيَّ". فعلم أنه شفيع فيه، فأمره النبي (ﷺ) أن يصلي ويدعو هو أيضاً لنفسه، ويقول في دعائه " اللهم فشفعه فيَّ" فدل ذلك على أن معنى قوله: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد" أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا"[1].

فالحديثان معناهما واحد، فهو (ﷺ) علّم رجلاً أن يتوسل به في حياته، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا.

ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء، والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له الرسول، لم يعدلوا عن التوسل به، وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه، وأقربهم إليه وسيلة، إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله.
وكذلك لو كان أعمى توسل به ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى، لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى، فعدولهم عن هذا إلى هذا، مع أنهم السابقون الأولون دل على أن ما شرع ينفع، وما لم يشرع لا ينفع، وما يكون أنفع من غيره، وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات، وتيسير العسير، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن، دليل على أن المشروع ما سألوه دون ما تركوه.

ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه، وذلك أن التوسل به حياً هو من جنس مسألته أن يدعو لهم، وهذا مشروع. فما زال المسلمون يسألون رسول الله (ﷺ) في حياته أن يدعو لهم.

---

[1] "الجامع الصحيح" كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، حديث (1010)، وانظر: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – حديث (3710). وانظر: ابن سعد في الطبقات (28/4 – 29). وانظر: البيهقي في السنن الكبرى (88/3). كلهم من حديث أنس(رضي الله عنه)

وأما بعد موته، فلم يكن الصحابة يطلبون منه الدعاء، لا عند قبره ولا عند غير قبره، كما يفعله كثير من الناس، عند قبور الصالحين، يسأل أحدهم الميت حاجته، أو يقسم على الله به ونحو ذلك"[1].

وبعد هذا البيان تبين بطلان ما ذهب إليه المدرس من جواز التوسل بالنبي (ﷺ) بعد موته .

فحقيقة التوسل كما يقول شيخ الإسلام: "وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته.

والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح.

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة.

فأما المعنيان الأولان – الصحيحان باتفاق العلماء –

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين ، ومن هذا قول عمر بن الخطاب: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)[2]. أي بدعائه وشفاعته. وقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥)، أي القربة إليه بطاعته. وطاعةُ رسوله

---

[1] ابن تيمية "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" ، المحقق :ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان،الطبعة : الطبعة الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ – 2001هـ (282/1وما بعدها)

[2] "الجامع الصحيح"، في كتاب الاستسقاء، في باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، حديث (1010)، و في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – حديث (3710). وابن سعد في الطبقات (28/4 – 29).والبيهقي في "السنن الكبرى" (88/3). كلهم من حديث أنس – رضي الله عنه –.

طاعته، قال تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ (النساء: ٨٠). فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته – كما قال عمر(رضي الله عنه) – فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسُّل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائماً فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدهما: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة .[1]

وأما استدلال المدرس بعموم قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥)،فهو مخالف لما نقل عن السلف وسياق الآية ؛ قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، وقد قال بعدها:﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥)،قال سفيان الثوري، حدثنا أبي، عن طلحة، عن عطاء، عن ابن عباس: أي القربة. وكذا قال مجاهد [وعطاء] وأبو وائل، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد.

وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه. وقرأ ابن زيد:

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } [الإسراء:57] وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه."[1]

---

[1] ابن تيمية : "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" مصدر سابق، (86،87/1)

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الثانية 1420هـ – 1999 م (103/3)

فالآية لا تعم ما ذكره المدرس؛ لأننا لا نتقرب إلى الله بالعقول وإنما نتقرب إليه بالشرع المنقول ، ومن القواعد المعروفة في العقيدة:"الأصل في العبادة الحظر ما لم يثبت الدليل" والله تعالى أعلم .

المطلب الثاني:موقف المدرس من الولاية

ذكر المدرس في تفسيره بعض الفرق الإسلامية، وبين اتجاهها العقدي في بعض القضايا، وذكر موقفه منها.

ومن الفرق التي وقف لها المدرس بالمرصاد الشيعة ، ولا عجب في ذلك فالواقع يحتم عليه ذلك ، إذ العراق موطن المدرس كما هو موطن للشيعة أيضاً

فكان لزاماً على المدرس- وهو مفتي السنة في العراق - أن يتصدى لشبه الشيعة ، وحتى لا يطول المقام سنقتصر على هذا المثال الذي ردّ فيه المدرس قول الشيعة بإمامة علي ﴿ رضي الله عنه ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٦) ،قال المدرس[1] بعد أن فسر هذه الآية :واستدل الإمامية بهذه الآية على إمامة علي - كرم الله وجهه- ووجه الاستدلال: أنهم يدعون الإجماع على أنها نزلت فيه، وكلمة إنما تفيد الحصر، ولفظ الولي بمعني المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيها، وظاهر أن المراد التصرف العام المساوي للإمامة بقرينة ضم ولايته بولاية الله تعالى ورسوله ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ فثبتت إمامته وانتفت إمامة غيره، وإلاّ لبطل الحصر، ولا إشكال في التعبير عن الواحد بالجمع فقد جاء في غير ما موضع من الكلام البليغ.

وقد أجيب عنه بوجوه:

الأول: منع الإجماع على نزولها فيه - كرم الله وجهه-، وكيف وقد اختلف علماء التفسير في ذلك فروى أبو بكر النقاش صاحب التفسير المشهور عن محمد الباقر ﴿ رضي الله عنه ﴾ أنها نزلت في المهاجرين والأنصار.

وقال قائل: ونحن سمعنا أنها نزلت في علي - كرم الله وجهه -.

فقال: هو منهم يعني أنه كرم الله تعالى وجهه داخل في المهاجرين والأنصار وواحد منهم. وهذه الرواية أوفق بصيغ الجمع في الآية. فإن قالوا الضرورة تدعو إلى القول بنزولها فيه

(1) انظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن (168،169،170/3)

– كرم الله وجهه– إذ تصدق على السائل في حال الركوع لم يقع من أحد غير الأمير – كرم الله وجهه– .

قلنا: ليست الآية نصا في كون التصديق واقعا في حال ركوع الصلاة لجواز أن يكون الركوع بمعنى التخشع والتذلل لا بالمعنى المعروف في الصلاة. وقد استعمل في معنى الخشوع في القرآن الكريم كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٣)، إذ ليس في صلاة من قبلنا من أهل الشرائع ركوع واحد هو أحد الأركان بالإجماع. وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص: ٢٤)، وليس حمل الركوع في الآية على غير معناه الشرعي بأبعد من حمل الزكاة المقرونة بالصلاة على مثل ذلك التصدق وهو لازم على مدعى الإمامة قطعا.

الثاني: أنا لا أسلم أنّ المراد بالولي المتولي للأمور المتصرف فيها تصرفا عاما بل المراد بها الناصر لأنّ الكلام في تقوية قلوب المؤمنين وإزالة الخوف عنها من المرتدين.

الثالث: أنه لو كان المراد بالولي المتصرف للأمور والمالك لها لم ينطبق إلاّ على الله سبحانه وتعالى، ولو كان المراد به المبلغ للأحكام لم يجر إلاّ على الرسول بالذات.

الرابع: أنه لو كان المراد بالولي ما ذكروه لكانت الآية نصا في نفي الإمامة عن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الذين اعتبروهم أئمة للمسلمين.

الخامس: أنّه وإن كان استعمال صيغة الجمع جائزا للواحد مجازا لكن في استعمال الصيغ الجمعية المتتالية في شخص واحد بُعدٌ، غير مناسب لبلاغة القرآن الكريم.

السادس: أنّ الولاية بمعنى الإمامة إنّما تكون بعد عهد النبوة والرسالة والولاية المتأخرة عن عهد الرسالة غير مشروطة بالاتصال بعهد الرسول، وإذا لم تتصل بعهده فلا يوجد مسلم يمنع أن تكون الولاية بهذا النمط ثابتة للإمام – كرم الله وجهه–

السابع: أنه لو سلم جميع ما ادعوه لكن لا نسلم أن مورد النزول يخصص العام بنفسه، فلتكن الولاية ثابتة للإمام – كرم الله وجهه– ولغيره من سائر الخلفاء، والتقدم والتأخر لا يمنعان تحققها.

الثامن: أنه لو سلم ذلك كان الواجب على الإمام أن يجهر بدعوى الولاية بذلك المعنى حتى يتبرأ من واجب أمانة الله ورسوله، واستمرار الحذر نحو قريب من ست وعشرين سنة لا يناسب شهامة ذلك الأسد الغيور، ولا غيره من المسلمين الكرام.

وبهذه الأدلة التي ساقها المدرس زالت الشبهة وبطل قول الإمامية .

المطلب الثالث:رأي المدرس في مسألة أفعال العباد والكسب والاختيار

موضوع الكسب والاختيار من المباحث العقلية التي بحثها علماء الكلام وحاولوا من خلاله بيان أن الإنسان مجبور في أفعاله أم مخير ، وردّ شبه بعض الفرق التي خرجت عن الجادة في هذا الموضوع .

والمدرس في تفسيره وقف على هذا الموضوع حين فسر قوله تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(القصص: ٦٨)، قال المدرس[1]: " ومعنى هذا نفي تصرف العباد وعلاقتهم في خلق الله، وهذا هو الإيمان السليم بأنّ الله هو الفاعل المختار، وكل شيء يسند إليه بالذات بدون توسط شيء إلاّ تلك الأسباب الاعتيادية التي خلقها وأثبتها في قوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (الكهف: ٨٤)

وليس معنى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ (القصص: ٦٨)، أي الاختيار في أفعالهم وآثارهم لأنّ الكلام هنا في أفعال الباري لا في أفعال العباد. وكذلك أثبت للعباد المكاسب والأفعال في آيات. وقال: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف: ١٩)، وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن للعباد أفعالا اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها، ولكن للعلماء في تحقيق الاختيار آراء، والمختار منها رأيان: **الأول:** رأي أبي الحسن الأشعري.

والثاني: رأي أبي منصور الماتردي – رضي الله عنه– .

أما رأي الإمام أبي الحسن الأشعري – رضي الله عنه– في كسب العبد فهو مقارنة قدرته وإرادته المتوجهة للعمل الذي يفعله بقدرة الباري تعالى وإرادته. وتوضيحه: أن الله تعالى خلق العبد وخلق فيه حواس سليمة ، وعلما إجماليا بالأفعال الاختيارية قبل صدورها ، وعلما بحسنها وقبحها، وخلق فيه إرادة تابعة لذلك العلم مرجحة لبعض الأفعال على بعض، وقدرة متعلقة بالفعل تابعة لتلك الإرادة بحيث لو كانت مستقلة في الإيجاد لأوجدها .

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (6/243–244)

وينبعث من هذه الإرادة شوق ورغبة في إنجاز الفعل ، وعند ذلك يخلق الله تعالى ذلك الفعل الذي رغب فيه ، فكسبه عبارة عن توجيه إرادته للقدرة نحو العمل، وهذا التوجيه سبب اعتيادي لخلق الله تعالى ذلك الفعل له.

وحقق العلامة الكوراني أنّ مذهب السلف أن للعبد قدرة مؤثرة في العمل بإذن الله تعالى، وادّعى أن ذلك هو مذهب أشعري، لا أنّ قدرته غير مؤثرة أصلا وهذا واضح.

وأما رأي أبي منصور الماتردي –رضي الله عنه– فهو أنّ الكسب عبارة عن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل المرغوب عنده، وأن ذلك أثر لقدرة العبد وصادرة عنه، وإيجاد الله تعالى الفعل عقب ذلك خلق، والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين ، فالفعل مقدور لله بجهة الخلق والإيجاد ، ومقدور للعبد بجهة الكسب ، أي صرف قدرته وإرادته إليه . وظواهر الآيات شاهدة بأن العبد كاسب وله كسب صادر منه يترتب عليه ثواب وعقاب ،،أن الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . فاختر ما تشاء من الرأيين ، والله سبحانه وتعالى هو الموفق المعين."

الفصل السابع

منهج المدرس في الفقه وأصوله

المبحث الأول: بيان المدرس لبعض المصادر التشريعية :

المطلب الأول :القياس :

المطلب الثاني: شرع من قبلنا شرع لنا :

المبحث الثاني : منهج المدرس في المسائل الفقهية:

المطلب الأول : طرق عرضه لأقوال الفقهاء وموقفه منها:

المطلب الثاني : التعليل وبيان الحكمة :

المطلب الثالث: موقف المدرس من بعض القضايا الخلافية:

الفصل السابع

منهج المدرس في الفقه وأصوله

علم الفقه علم بارز وله أهميته بين العلوم الإسلامية الأخرى, و من أحبه الله فقهه في دينه, قال عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[1].

والمدرس واحد من أولئك المفسرين الذين تناولوا الفقه وأصوله في تفاسيرهم ، فقد تناوله بكل اهتمام وعناية ، يقول في هذا الشأن: "إن تفسير القرآن الكريم وبيان الأحكام المأخوذة منه محتاج إلى الفقه والفهم الدقيق الواسع الذي يفرق به بين الخاص والعام، والمقيد والمطلق، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ . وقواعد التعديل والترجيح في الآيات التي ظاهرها يخالف ظاهر آية أخرى . وهذا الفهم هو المعبر عنه بالاجتهاد لمن وصل فيه إلى درجة ملكة الاستنباط بشرط أن يكون صاحبه مسلماً عادلاً ليوثق بكلامه في البيان، فلا يجوز لأي عامي أو مثقف غير متوسع أن يستقل برأيه، لأنه لا يعلم حقيقة الموضوع وقد قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤٣)، فكما يحتاج العالم إلى فهم معاني اللغات يحتاج إلى فهم أصناف المفردات والمركبات كما ذكرنا." [2]

فلا تكاد تمر آية تعرضت للأحكام إلاّ وأولاها المدرس عناية بالشرح والتوضيح، كيف لا وهو الذي أفنى حياته في تدريس هذه المادة؛ فقد جلس للتدريس منذ شبابه ، حتى تبوّأ مقعد الإفتاء في بغداد لسنين عديدة ، ولم يتوقف عن التدريس حتى توفاه الله ، كما لقب بمفتي الشافعية ببغداد.

والمدرس لم يقتصر على التدريس بل ألف العديد من الكتب التي تناولت هذا الموضوع، وقد سبق أن أشرنا لمؤلفاته في الفصل الأول من هذه الرسالة .

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل, "الجامع الصحيح", كتاب العلم, باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين, ج1ص39, برقم71.

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن(211/4)

ومن خلال دراستي لهذا التفسير وجدته يغلب عليه الطابع الفقهي، فللمدرس في تفسيره وقفات طويلة في كثير من المسائل الفقهية، حتى يتوهم قارئها أنه يطالع في أمهات كتب الفقه.

وقد تناولت في هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول

بيان المدرس لبعض المصادر التشريعية

إن منهج فهم الشريعة الإسلامية يتوقف على فهم ما به من المصادر التشريعية ــ كالقرآن والسنة والإجماع والقياس، والقواعد التي تُعتمد لأجل ذلك، ومن هذه القواعد ما يتعلق بهذه المصادر جميعها، ومنها ما يتعلق بكل منها على حدة.

ولقد اعتنى المدرس – رحمه الله– بمصادر التشريع في تفسيره عند تقريره لبعض الأحكام ، حيث يشير إلى المصدر الذي استقى منه الحكم ، فكثيراً ما يذكر الحكم ثم يبين مصدره من إجماع أو قياس أو شرع من قبلنا وغيرها من مصادر التشريع ، وإن كان خطأ في مسلك تقرير حكم من الأحكام أشار إليه وبينه. والمطالب التالية أمثلة وبيان لما ذكرت.

المطلب الأول:القياس: وهو تعدية الحكم من الأصل إلى الفرع بعلة متحدة .[1]

ويقول إمام الحرمين الجويني[2]: (القياس مناط الاجتهاد وأصل الرأي, منه يتشعب الفقه وأساليب الشريعة وهو المفضي إلى الاستقلال بتفاصيل أحكام الوقائع مع انتقاء الغاية والنهاية, فإن نصوص الكتاب والسنة محصورة مقصورة, ومواقع الإجماع معدودة مأثورة.........

والرأي المبتوت به عندنا أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى بتلقٍ من قاعدة الشرع والأصل الذي يسترسل على جميع الوقائع هو القياس وما يتعلق به من وجوه النظر والاستدلال فهو إذن أحق الأصول باعتناء الطالب.

---

[1] التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر: " شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه"، المحقق : زكريا عميرات،الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،الطبعة : الطبعة الأولى 1416 هــ – 1996 مــ،(170/2)

[2] الجويني ، عبد الملك أبو المعالي، " البرهان في أصول الفقه" ،الناشر : الوفاء – المنصورة – مصر،الطبعة الرابعة ، 1418، تحقيق : د. عبد العظيم محمود الديب، (485/2)

ومن عرف مأخذه وتقاسيمه وصحيحه وفاسده وما يصح من الاعتراضات عليها وما يفسده منها؛ أحاط بمراتبه جلاء وخفاءً, وعرف مجاريها ومواقعها فقد احتوى على مجامع الفقه)[1] .

ومن الأحكام التي أفادها المدرس من القياس ، ما ذكره حين فسّر قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٣ – ٢٢٤)، من حرمة إتيان النساء في أدبارهن ، وأفاد المدرس هذا الحكم من أوجه متعددة أولهما القياس ، فقال: (ومما ينبغي أن يعلم أنه يستفاد من الآيتين حرمة مجامعة النساء في أدبارهن من وجوه:

الوجه الأول: من قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾ (البقرة: ٢٢٢)لأنه ما دام وجب اعتزال النساء في وقت الحيض لأن دم الحيض أذى يستفاد وجوب اعتزال النساء من الأدبار فإن أذى النجاسات المحلولة المتعفنة أقوى من أذى دماء الحيض. فالقياس جليٌّ وأولويٌّ.)[2]

والعلة المشتركة التي أشار إليها المدرس هي النجاسة ، وهي متحققة في الأصل والفرع ، فتعدى الحكم من الأصل إلى الفرع.

والقياس إذا لم يستوف شروطه فلا يعتد به ، والمدرس يرُدُّ الأحكام الناتجة عن قياس لم يستكمل شروطه ، ليبين فساده ، ومن ذلك : ما ذهب إليه بعض الفقهاء من الحكم بتحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن قياساً على لصلاة والصيام.

قال المدرس مشيراً إلى بطلان حجتهم المبنية على قياس فاسد: (وأما ما احتج به المخالف من القياس على الصلاة والصيام ففاسد، لأنه في مقابلة النص، ثمّ إن بينهما فرقانا

---

[1] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. له مصنفات كثيرة، منها " غياث الأمم والتياث الظلم ، والبرهان في أصول الفقه. توفي بنيسابور. انظر الأعلام للزر كلي (160/4)

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (391/1)

. وهو أن الصوم والصلاة عبادات مختصة بالفاعل ، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتابة القرآن.) [1]

المطلب الثاني: شرع من قبلنا شرع لنا :

أشار المدرس إلى هذا الصدر في مواضع مختلفة من تفسيره مستدلا به على ثبوت حكم معين. ومن ذلك تحريم الجمع بين الأختين قبل تحريم القرآن له ، قال المدرس [1]: بعد أن فسّر قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٣)، وقوله (إلا ما قد سلف) استثناء من المعنى المستفاد من النهي ، أي فعليكم العقاب على هذه العقود ، إلا عقدا قد سلف وسبق على نزول الآية فلا عقاب عليه وإنما يجب التنازل والفرقة كما ذكرنا . وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٢٣). أي لما سلف منكم في الجاهلية . فإن قيل: عهد الجاهلية كان عهد الفترة ولم تكن شريعة إذ ذاك والمغفرة تكون على ذنب ارتكب على وجودها . قلنا: إن تحريم جمع الأختين كان من الشرائع السابقة وعلمه كثير من الناس ، ولذلك عدّ ارتكاب الجمع ذنبا فتناسبه المغفرة.

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (167/1)
[2] المصدر السابق (360/2)

المبحث الثاني

منهج المدرس في المسائل الفقهية

يقوم منهج المدرس في مثل هذه القضايا على بسط آراء فقهاء الصحابة ، والتابعين إلى جانب أقوال الفقهاء من أصحاب المذاهب: كالحنفية والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والإمامية. كما يورد أقوال المذاهب المندثرة : كالأوزاعي ، والليث وابن حزم وغيرهم . ويرجح في الغالب مذهب الإمام الشافعي – رحمه الله– ويدعم ترجيحه بأدلة متعددة ، نقلية وعقلية . والمطالب التالية بيان لمنهجه في ذلك:

المطلب الأول : طرق عرضه لأقوال الفقهاء وموقفه منها:

يغلب على مسائل الفقه الخلاف ، فلا تكاد تذكر مسألة فقهية إلا وتجد للفقهاء فيها آراء متعددة ، والواقع أن المدرس في تفسيره يعرض المسائل الفقهية ومذاهب وآراء الفقهاء فيها ، و سلك في عرضه هذا مسلكين رئيسين:

المسلك الأول: يقوم على النقد والاستدلال والترجيح : ونمثل لذلك بما يلي:

المثـــــال الأول: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧)،يقول المدرس: "الاستطاعة إما بالبدن، أو بالمال، أو بهما معا، وإلى الأول ذهب الإمام مالك، فيجب الحج عنده على من قدر على المشي والكسب في الطريق.

وإلى الثاني مذهب الإمام الشافعي ولذا أوجب الإستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه.

وإلى الثالث ذهب الإمام أبو حنيفة – رضي الله تعالى عنهم أجمعين– . ويؤيده ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال: أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد

وراحلة من غير أن يجحف به[1]. واستدل الشافعي –رضي الله عنه– بما أخرجه الدارقطني عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧) قام رجل فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: "الزاد والراحلة"[2]

ثمّ قال المدرس: وروي هذا من طرق شتى، وهو ظاهر فيما ذهب إليه حيث قصر الاستطاعة على المالية دون البدنية. والإمام أبو حنيفة يؤول ما وقع فيه بأنّ ه بيان لبعض الاستطاعة بدليل: لو فقد أمن الطريق مثلا لم يجب عليه الحج.

وهنا وإن لاحظنا أنّ المدرس لم يرجح إلا أنّ ترجيحه ضمنيٌ في من تمعن في كلامه ؛ فحكمه على دليل الشافعي بأنه ظاهر، وعلى دليل أبي حنيفة أنه مؤول، يدل على ترجيحه لمذهب الشافعي في هذه المسألة لأنّ الظاهر مقدم على المؤول.

المثال الثاني: اختلف الفقهاء في مسألة وجوب النية في الوضوء، قال المدرس [3]:وأما وجوب النية في الوضوء فاختلف فيه الفقهاء فقال الحنفية : ليس بواجب لأنّ ظاهر الآية [4] لا يقتضيه. والشافعي ذهب إلى وجوبه فقال بعض الشافعية مستدلا على وجوبه: إنّ معنى الآية : إذا أردتم القيام للصلاة وأنتم محدثون والغسل وقع جزاء لذلك والجزاء مسبب عن الشرط فيفيد وجوب قصد الغسل لإرادة الصلاة، ويكون الجزاء وفق الشرط في القصد . وقال آخرون : وجه الاقتضاء أن الوضوء مأمور به فيها وهو ظاهر ، وكل مأمور به يجب أن يكون عبادة وإلا لما أمر به ، وكل عبادة لا تصلح بدون النية لآية: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة: ٥)، والإخلاص لا يحصل إلا بنية صافية . لقوله (ﷺ) (

---

[1] البيهقي، " سننه الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي"، باب:(الرجل يطيق المشي ولا يجد) رقم الحديث: 8902(ج331/4)

[2] الدار قطني: "سنن الدار قطني"(ج213/3)

[3] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (115/3)

[4]يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ (المائدة: ٦)

إنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْه) [1]

واستدلال المدرس لمذهب الشافعي بالآيات والأحاديث وسكوته عن المذهب الآخر دليل على تقديمه وترجيحه لرأي الشافعي. والذي رجحه هو رأي الجمهور.

قال ابن رشد: "اختلف علماء الأمصار هل النية شرط في صحة الوضوء أم لا بعد اتفاقهم على اشتراط النية في العبادات لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(البينة: ٥) ولقوله ﴿ﷺ﴾: "إنما الأعمال بالنيات" الحديث المشهور. فذهب فريق منهم إلى أنها شرط وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد وأبي ثور وداود. وذهب فريق آخر إلى أنها ليست بشرط وهو مذهب أبي حنيفة والثوري. وسبب اختلافهم تردد الوضوء بين أن يكون عبادة محضة: أعني غير معقولة المعنى وإنما يقصد بها القربة له فقط كالصلاة وغيرها وبين أن يكون عبادة معقولة المعنى كغسل النجاسة فإنهم لا يختلفون أن العبادة المحضة مفتقرة إلى النية والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية والوضوء فيه شبه من العبادتين ولذلك وقع الخلاف فيه وذلك أنه يجمع عبادة ونظافة والفقه أن ينظر بأيهما هو أقوى شبها فيلحق به."[2]

المسلك الثاني: عرضه لأقوال الفقهاء دون مناقشة أو تعليق.

ومن منهج الشيخ أيضاً أنه كان يكتفي أحياناً بإيراد آراء الفقهاء وأقوالهم, دون مناقشتها أو التعقيب عليها.

المـــثال الأول: ومن الأمثلة على ذكره للأقوال دون تعليق أو تعقيب, أو ترجيح ما ذكره عند تفسيره لقول الله عزوجل: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٦)، قال المدرس:" والشافعي يرى أن الإيلاء شرعا لا ينعقد إلا بما

---

[1] الحديث في صحيح البخاري، (2/1)، وتمامه: (إِنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)

[2] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد: " بداية المجتهد و نهاية المقتصد"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة : الرابعة، 1395هـ/1975م (9/1)

زاد على أربعة أشهر لأن للمولى حق التربص أربعة أشهر وإذا مضت المدة يطالب الرجل بالرجوع إلى المرأة، فإن رجع فذاك وإلا وجب أن يطلقها، فإن امتنع طلقها عليه الحاكم .

قال أبو حنيفة: الإيلاء في أربعة أشهر فما دونها ، وحكمه: أن المولى إن فاء في المدة بالوطء إن قدر، وبالوعد إن عجز صح الفيء ولزم الواطئ الكفارة. وإلا بانت بعدها بطلقة." [1]

الملاحظ أن المدرس لم يرجح في هذه المسألة ، كما أنه كثيراً ما يكتفي بذكر رأي المذهبين الشافعي والحنفي ؛ ولعل سبب اقتصاره على ذكرهما لأنهما المشهوران والمنتشران في القطر العراقي دون غيرهما .

المـــثال الثاني:الاختلاف في معنى القرء ، والمدرس ذكر الخلاف دون ترجيح فقـــال [2] عند تفسره لقولـــه تعالـــى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)،

و(قُرُوٓءٍ) جمع قرء وجاء بمعنى الحيض والطهر. وممن ذهب إلى أن المراد بالقرء في الآية الطهر مالك، والشافعي، وأم المؤمنين عائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، والفقهاء السبعة، وأبان بن عثمان، والزهري وعامة فقهاء المدينة . وهو رواية عن أحمد.

وممن ذهب إلى أن المراد به الحيض : الخلفاء الراشدون الأربعة ، وابن مسعود ، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وابن العباس، ومعاذ ابن جبل وجماعة من التابعين . وهو الرواية الصحيحة عن أحمد.

واحتج كل من الفريقين بما رآه من الكتاب والسنة وتفصيله يطول.

الملاحظ أن المدرس اكتفى بذكر الخلاف ، تاركا المجال لمن يريد التفصيل في الموضوع الرجوع إلى أمات كتب الفقه .[3]

المطلب الثاني : التعليل وبيان الحكمة :

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (10،11/2)

[2] المصدر السابق (13/2)

[3] انظر: مسألة القرء عند: ابن رشد ، بداية الجتهد ونهاية المقتصد (90/2)

كثيراً ما يقف المدرس عند بعض الأحكام ليبين الحكمة من تشريعها ؛ فحين يقف المكلف على الحكمة من تشريع حكم ما ، ويرى أن الله سبحانه وتعالى إنما شرع ذلك لمصلحته ؛ فيزداد محبة لله ولرسوله ولهذا الدين .

المثال الأول :بيانه لبعض حكِم الصوم؛ قال المدرس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣) ، " واعلم أن الصوم أحد الأركان الخمسة للإسلام . وهو من العبادات الراسخة السابقة في الأديان السماوية لما يترتب عليها من المحاسن .

– فالإنسان قبل كل شيء يهمه الأكل والشرب لإدامة حياته ، ثم المشتهيات النفسية ، فالأكل والشرب من لوازم حياته والشهوات من التوابع ، فإذا امتنع من هذا الأمر الذي هو من لوازم ذاته إطاعة لله تعالى فقد تحلى بعبادته تعالى. وإذا صام وأمسك عن المفطرات صوما يستحب في الدين فلا شك أنه تضعف قوته الشهوية فيتعفف وينال رضاء ربه تعالى ، والصبر عن الأكل والشرب وقضاء الشهوة في درجة لا حساب لها .. وعليه يقول تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (الزمر: ١٠).

– ففي الصيام تدريب للنفس على الجوع والعطش تدريبا يعود بالنفع له أيام الشدائد والمجاعة والحروب .

– فيه كبح جماح النفس عن الشهوات .وتنويرها بأنوار الطاعة وتقريبها إلى رضاء الباري سبحانه وتعالى .

– وفيه انتباه لأحوال الجياع العطاش وترحم بهم . وفي ذلك اقتراب من الله تعالى . فقد ورد (الراحمون يرحمهم الرحمن)[1]. "[2]

---

[1] الترمذي:محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، (قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح)،(323/4) باب رحمة المسلمين .

[2] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (323،324/1)

والمدرس رحمه الله أجاد بهذه الحكم ، ويضاف لها الحمية ، ففي الصيام شفاء من أمراض متعددة.

المثال الثاني : بيانه للحكمة من الزواج ، قال المدرس: ومما ينبغي أن يعلم أن النكاح مشروع في الأديان السماوية كلها ، وتقرر في دين الإسلام على أحسن وجه وأوفقه بحياة الإنسان السعيد ، فمن راعى آدابه سعد في الدارين فهو في حد ذاته :

– وسيلة لاستئناس الإنسان .

– وقضاء حاجة النفس وكبح جماحها في الميل إلى العدوان .

– وطريق للتناسل واستمرار سلسلة الرجال والنساء في العالم .

– والحجر الأساس لبناء المصاهرة الموجبة للتعاون والتكاتف والتراحم بين الأفراد والقبائل.

– ووسيلة تكثير سواد الأمة السعيدة الصالحة المسلمة في تعمير الأرض بالعلم السليم والعمل الصالح . "[1]

المطلب الثالث :موقفه من بعض القضايا الخلافية:

يتميز المدرس بالجرأة في إبداء رأيه وبيان موقفه من بعض المسائل الحساسة من دون عصبية مذهبية ؛ فيخالف فيها مذهبه ، وينتصر للدليل بعدما يناقش أدلة المخالفين ، ويبين وجه الضعف فيها ، ثم يبين أدلته السالمة من الضعف .

ونمثل للمسائل التي حسم فيها المدرس بمثالين :

المثال الأول :مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد :

هذه المسألة القديمة الحديثة التي تتعلق بالأسرة ، ويترتب عليها الكثير؛ واختلف أهل العلم في إمضائه . قال ابن رشد: " جمهور فقهاء الأمصار على أن الطلاق بلفظ الثلاث حكمه حكم الطلقة الثالثة وقال أهل الظاهر وجماعة: حكمه حكم الواحدة ولا تأثير للفظ في ذلك

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (387/1)

."[1] والمدرس في تفسيره بحث هذه المسألة في أزيد من ثلاثين صفحة استقصى فيها أدلة الفريقين النقلية منها والعقلية وناقشها ، وانتصر لرأي الجمهور القاضي بإمضاء الثلاث بلفظ واحد ، وذكر دعوى الإجماع على ذلك ؛ وبين وجه الضعف في أدلة الخصم. و الراجح هنا ما عليه الجمهور لقوة الدليل والبرهان.كما بين المدرس .[2]

المثال الثاني :مسألة الزواج بالكتابيات:

بحث المدرس هذه المسألة في تفسيره وبين موقفه ،والقاضي بجواز نكاح الكتابيات ؛ مستدلا على ما ذهب إليه بالنقل والعقل ، وخالف فيها مذهبه (الشافعي)، والذي يرى المنع.

قال المدرس : "المراد بالمشركات في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (البقرة: ٢٢١) ما عدا الكتابيات من اليهود والنصرانيات . وهن الوثنيات ، والمجوسيات ، والملاحدة المعطلات اللاتي لا يعترفن برب العالمين . وأما الكتابيات ، وإن أسند إلى اليهود والنصارى الإشراك لكن لهن شرف أصل الكتاب والإيمان به حسم تلك الوساخة . بدليل أن الله تعالى فرق بينهما بالعطف فقال : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٥) وقال :﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(البينة: ١) ففرق بينهم في اللفظ ، وظاهر العطف التغاير بين المتعاطفين وأيضاً فالمشركات عام قابل للتخصيص ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (المائدة: ٥) نصّ ،وهو أقوى من العام فيتخصص به ،فيجوز للمسلم نكاح الكتابية قبل الإسلام ، لكن الإمام الشافعي اشترط في جواز إثبات كونها كتابية قبل النسخ والتحريف . وذلك متعذر ، فلذا لا يصح نكاحهن له قبله .

ومنع عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – طلحة ابن عبيد الله ، وحذيفة بن اليمان عن إمساك الزوجة الكتابية كان رعايةً لمصلحة الإسلام حتى لا يختلط المسلمون بالكتابيين

---

[1] انظر: ابن رشد ،بداية المجتهد و نهاية المقتصد ،(61/2)

[2] انظر: هذه المسألة مبسوطة في تفسير (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) (2/17-53)

بالمصاهرة، فمعنى الآية الشريفة ولا تنكحوا النساء المشركات حتى يؤمن، وأما الكتابيات فلا مانع من نكاحهن. "[1]

وما ذهب إليه المدرس في هذه المسألة هو الراجح؛ لقوة الدليل والله تعالى أعلم.

---

[1] انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن (388/1)

المبحث الثالث: القيمة العلمية لهذا التفسير

تظهر القيمة العلمية لتفسير المدرس من خلال المزايا التالية:

مزايا تفسير المدرس:

لا يخفى على من يطالع تفسير المدرس ما له من ومزايا و محاسن جمة التي امتلأ بها ، وهي لا تحصى ، ومن هذه المحاسن :

- **بروز شخصيه :** ومما يحمد للشيخ في هذا التفسير شخصيته التي تظهر بوضوح عند معالجته لكثير من القضايا ، فقد كان له الجرأة في ما يراه حقا ، ويتجلى هذا من خلال تحقيقاته العلمية المختلفة ، واستدراكاته عمن سبقه وتوجيهاته ،واللطائف والنكت والفوائد التي جاد بها في مختلف المجالات ؛فكانت شخصيته العلمية مستقلة ؛ فلا يظهر عليه أثر التقليد لغيره دون بينة ، وكان يتعقب الأقوال التي يوردها بالتحليل والنقد مع الموضوعية .

- **اهتمام ه بالتفسير بالمأثور :** عني المدرس بالأحاديث والآثار؛ يذكر الأحاديث كلما اقتضى المقام ، مستشهداً أو مدللاً.

- **عنايته بعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة.**

- **عرضه للقضايا الفقهية والعقدية .**

- **عدم تعصبه لمذهب معين أو شخص:** كان يتعقب الحجة والدليل ، وتظهر هذه الصفة واضحة في بحثه للمسائل الفقهية ؛ فقد خالف مذهبه (الشافعي)في بعض من المسائل ، ورجح رأي غيره .

- **نقده للأفكار دون الأشخاص** : و هو النقد البناء؛ فلم يتسلط بلسانه على شخص .

- **سعة ثقافته وكثرة اطلاعه** ، وتبحره في العلوم المختلفة وتسخير ذلك لخدمة التفسير كعلوم الفقه والأصول واللغة والفلك والتاريخ والسير والعقائد والكلام.

– **تعدد مصادره وتنوعها** :والتي مكنته من الإحاطة بمعظم جوانب الموضوعات التي عرض لها، وأتاحت له الوقوف على المسائل المختلفة ، وأراء العلماء.

– **عنايته بالإشارات المفيدة التي تومئ إليها الآيات.**

– **استنباطه لِلحِكم من بعض التشريعات والأحكام.**

– **الذوق والحس الأدبي المرهف** :ويظهر هذا من خلال تنويعه للأساليب الأدبية، وقدرته على الصياغة الأدبية.

– ومما يحمد أيضاً للشيخ في هذا التفسير بعده عن رواية أحاديث فضائل السور. والتي هي في مجملها من الموضوعات.

– ولم يعلن المدرس المدرسة التي انتصر لها في تفسيره بصراحة ، لكنه كما تأثر بالاتجاهات القديمة في التفسير، تأثر أيضاً بالمدرسة الإصلاحية . وتأثُره بالمدرسة الصوفية أيضاً بارز في تفسيره من خلال عرضه للقضايا السلوكية والتزكية وفيوضاته الروحية خير شاهد على صوفيته[1]

المآخذ على تفسير الشيخ المدرس:

لما كان الجهد البشري يعتريه النقص ؛ فكان من الطبيعي بعد هذه الدراسة أن أسجل على الشيخ بعض المآخد ، إلى جانب هذا الخير الكبير، والجهد الجبار والمواقف الحميدة . ومن هذه والمآخذ والسلبيات ــ بإيجازــ:

1- بعده عن واقع الأمة :إن تفسير الشيخ بعيد عن مسرح الأحداث ولا يمثل العصر الذي عاش فيه ــ مع أن الشيخ عاش في القرن العشرين وألف تفسيره في الربع الأخير منه ــ ، وهذه الفترة من أحرج الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية عامة والعراقية خاصة ، والمدرس – رحمه الله– لم يناقش المشكلات والظروف الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية والأخطار التي تحدق بالأمة من الداخل والخارج ، إلا في بعض

---

[1] انظر مثلاً رأي المدرس في التوسل وصحبة الأولياء الصالحين والتبرك بآثارهم في تفسيره (78،79/1)،(16/5)

الإشارات البسيطة ؛ فلا يعكس تفسير المدرس ما تعيشه الأمة من أحداث وأزمات ومتغيرات في الداخل ، وما يحدق بها من الخارج ، وهو في هذا اختلف كثيراً عن المدرسة الحديثة في التفسير، ولعل للشيخ عذره في ذلك فقد كان وقته كله في التدريس ، مشغولاً بطلبة العلم والتأليف ، بعيداً عن السياسة .

2 -الغموض الذي يكتنف بعض إحالاته إلى المصادر والميل إلى الألغاز والإبهام في النقل : ومن ذلك قوله:(كما في بعض الحواشي)(وقال بعض العلماء)(وفي بعض كتب اللغة)(وروي)

3 -عدم توثيقه لبعض المنقولات:حيث نقل عن بعض المصادر دون إشارة إليها كما هي عادة العلماء المتقدمين ، وكان يكتفي بقوله (وقيل) أو(وأما ما قيل) أو(وقد قال بعضهم) ، وهذه العبارة غامضة ؛ إذ من الصعب معرفة صاحب هذا القول ، لكن المدرس أكثر منها.

4 -**يذكر المؤلف دون المصدر:** عندما يعزوا المدرس للمصادر كثيراً ما يكتفي بذكر المؤلف دون ذكر المصدر ، مما يشكل صعوبة على الباحث إن أراد معرفة المصدر لتوثيق المعلومة ، وتزداد هذه الصعوبة كما ازدادت مؤلفات ذالك المؤلف ، أو عندما يذكر لقبه فقط .

5 -**يذكر الحديث ولا يبين درجته من حيث الصحة أو الضعف:** مما يؤخذ على المدرس فيما يخص منهجه في التفسير بالمأثور أنه كثيراً ما يستشهد بالحديث دون بيان درجة هذا الحديث من الصحة أو الضعف ، وتصحيح بعض الأحاديث الضعيفة ، وكل هذا يجعل الباحث في حيرة من أمره.

6 -التوسع والاستطراد في بحث بعض المسائل الفقهية واللغوية والتاريخية : فكان المدرس يطيل بحث كثيراً من هذه المسائل ؛ مما يشتت القارئ ويبعده عن السياق القرآني.

7 -إن حسن الترتيب ، والتنظيم في العرض من الوسائل الضرورية والتي لا بد من مراعاتها عند التصنيف والتأليف ، وللأسف لم يكن للشيخ منها النصيب الكبير.

الخـــــاتـــــمة

أحمد ربي وأشكره, أن وفقني لإتمام وإنجاز هذا البحث الموسوم بـ: (الشيخ عبد الكريم المدرس ومنهجه في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن), و بعد رحلة ماتعة نافعة, عشت فيها مع كتاب الله تعالى, فلله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه الرجوع.

وأقول في الختام : إن ما قدمته هو نبذة ودراسة لحياة علم من أعلام التفسير في القرن العشرين وهو الشيخ عبد الكريم بن محمد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد الشهرزوري ، الشهير بالمدرس ، وتفسيره ومواهب الرحمن في تفسير القرآن .

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى النتائج والتوصيات التالية :

أولاً: قدمت هذه الدراسة تعريفاً بالشيخ عبد الكريم المدرس ، وبتفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن ومنهجه فيه ، وما أفاده وقدمه من خلال هذا التفسير من تحقيقات وفوائد وترجيحات .

ثانياً: كشفت هذه الدراسة عن جوانب مهمة من حياة المدرس ، فعرفت به من حيث اسمه ونسبه ولقبه ، وولادته ونشأته ، وطلبه للعلم ، وشيوخه وتلاميذه ، ورحلاته لطلب لعلم ،وجولاته للتدريس ثم استقراره ،ووفاته وأقوال العلماء فيه .

ثالثاً: أحصت هذه الدراسة مصنفات المدرس وعرفت – بشكل مجمل– بمضمون تلك المؤلفات ، وبينت مؤلفاته باللغة العربية ، وبعض مؤلفاته باللغة الكردية والفارسية.

رابعاً: عرفت هذه الدراسة بتفسير المدرس (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) بشكل عام من حيث : اسمه ، وتاريخ الانتهاء من كتابته ، ومدة تأليفه ، والباعث على تأليفه .

خامساً : تناولت هذه الدراسة طريقة المدرس في تفسيره ومنهجه في بحث المسائل وتحقيقها وتباين مواقفه في معالجة القضايا : : فالمدرس يطيل دراسته لعض المسائل خاصة الفقهية و اللغوية والعقدية والتاريخية ، وإلى جانب ذلك يحيل أحياناً إلى مصادر أخرى ، وبينت أيضاً ما لثقافة المدرس المتنوعة من أثر فيما كتب .

سادساً : قدمت هذه الدراسة إحصاء لأهم المصادر التي استقى منها المدرس معلوماته ، وأفاد منها في تفسيره ، وبينت منهجه في ذكرها ، وفي النقل منها وموقفه مما ينقل .

سابعاً : فصّلت هذه الدراسة منهج المدرس في تفسيره للقرآن الكريم

ثامناً : كشفت هذه الدراسة عن تكامل منهج المدرس في التفسير ، فهو يستند إلى المأثور ، ولكن هذا لم يمنعه من النظر والاستنباط واستخراج ما في الآية من نكات ، فتكامل التفسير بالمأثور مع التفسير بالمعقول .

تاسعاً : أظهرت هذه الدراسة عناية المدرس بعلوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة ، وعنايته بالفقه والعقيدة ، فقد أدرك المدرس ما لهذه العلوم من أهمية في فهم كتاب الله ، ومن هنا كان اهتمامه بهذه العلوم ، فقد ظهر المدرس ففقيها أصولياً متبحراً حاز أسس الاجتهاد واقتدر على توجيه الآراء.

عاشراً : كما خلصت هذه الدراسة إلى أن المدرس كانت له شخصية متكاملة فلم يكن يكتفي بالنقل بل كانت شخصيته بارزة من خلال القضايا التي ناقشها واستدل عليها .وأعطت هذه الدراسة فكرة موجزة عن القيمة العلمية لهذا التفسير انطلاقاً مما تضمنه من جوانب متميزة ، وبعض المآخذ عليه.

وبناء على ذلك أقول : إن تفسير المدرس ذا قيمة كبيرة أضاف جديداً إلى المكتبة الإسلامية ، كما أقترح أن يُحقق تحقيقاً علمياً ، وأن يطبع طباعة جديدة ، ويخرج إلى المكتبة القرآنية بصورة أحسن ترتيباً وتنظيماً ، فتعزى الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها، وتخرج الأحاديث النبوية غير المخرجة ، وتحقق الأخبار والمرويات ، ويزيل بفهارس تفصيلية متكاملة تساعد الباحثين ، وأما بصورته هذه فلا يحقق الغرض المرجو منه .

وختاماً : فقد شاء المولى جل وعلا أن تكون رسالتي عن المدرس ومنهجه في التفسير ، ولا أزعم لنفسي الإحاطة بجميع مباحث الدراسة ، ولا الإلمام بكل ما يقتضيه البحث العلمي ، لكنني بذلت جهدي فيما اعتقده جديراً بذاك ، فإن وفقت فلله الحمد والمنة والفضل ، وإن قصرت فحسبي أنني حاولت وبذلت وسعي في تقديم المدرس إلى الباحثين والدارسين، لعل

أن يكون هذا التقديم محفزاً وباعثاً على دراسة جوانب أخرى من تراثه ، والحمد لله أولاً وأخيراً، ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(الصافات: ١٨٠– ١٨٢).

فهرس المصادر والمراجع

1. الألباني،محمد ناصر الدين بن الحاج نوح " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة "، لألباني، دار النشر:دار المعارف،الرياض،الطبعة،الأولى، سنة الطبع : 1412 هـ / 1992 م

2. الألوسي ، محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع: 1415 هـ

3. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل, "الجامع الصحيح المسند المختصر من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه", دار الشعب – القاهرة، الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987

4. البغدادي، عبد القادر بن عمر :"خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"، تحقيق : محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، 1998م- بيروت

5. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، "معالم التنزيل في التفسير والتأويل" حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ، 1417 هـ – 1997 م

6. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي:" تفسير البيضاوى" ، دار النشر : دار الفكر – بيروت(

7. أ- البيهقي،" كتاب الدعوات الكبير "، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر ، منشورات مركز المخطوطات - الكويت،

ب- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر "دلائل النبوة"، تحقيق : وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، الطبعة : الأولى 1408 هـ / 1988 م

ج - البيهقي " شعب الإيمان" ،حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه : مختار أحمد الندوي ، صاحب الدار

السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة : الأولى ، 1423 هـ - 2003 م

8.الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى "الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي "، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون

9.أ - التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر: " شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه"، المحقق : زكريا عميرات،الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،الطبعة : الطبعة الأولى 1416 هـ - 1996 مـ،

ب- التفتازاني،سعد الدين "مختصر المعاني"، دار الفكر، الطبعة : الأولى 1411هـ

10. أ- ابن تيمية "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" ، المحقق:ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان،الطبعة : الطبعة الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ - 2001هـ

ب -ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني "مقدمة في أصول التفسير" ، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط2، 1418هـ -1997م

11. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر " دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2 ، 1419هـ - 1998م

12. الجرجاني، علي بن محمد: "التعريفات"، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1405

13. أ- الجويني ، عبد الملك أبو المعالي، " البرهان في أصول الفقه" ،الناشر : الوفاء - المنصورة - مصر،الطبعة الرابعة ، 1418، تحقيق : د. عبد العظيم محمود الديب

ب -الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف:" كتاب التلخيص في أصول الفقه"، الناشر : دار البشائر الإسلامية

14. ابن حبان، محمد ابن أحمد أبو حاتم التميمي البستي:"صحيح ابن حبان" ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، تحقيق : شعيب الأرنؤوط

15. ابن حجر، ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري": دار المعرفة بيروت ، 1379، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

16. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد، عز الدين" شرح نهج البلاغة"، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه

17. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري , "الإيصال في المحلى بالآثار", تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري, دار الفكر بيروت,

18. ابن حنبل، أحمد أبي عبد الله الشيباني:"مسند الإمام أحمد بن حنبل،الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة ،

19. الخالدي: صلاح عبد الفتاح، "تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، دار القلم دمشق 1429هـ / 2008م،

20. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد: "سنن الدارمي"، تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1407هـ

21. أ- الذهبي، محمد حسين: "الإسرائيليات في التفسير والحديث "، ،مكتبة وهبة،ط 4، سنة:1411هـ/1990م

ب -الذهبي، محمد حسين: "التفسير والمفسرون"، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، طبعة (1424هـ-2004م)

22. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله :"معجم المحدثين المختص بالمحدثين" دار النشر / مكتبة الصديق - الطائف – 1408، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة

23. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، "التفسير الكبير مفاتيح الغيب"، دارالنشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000 م الطبعة : الأولى

24. الراغب الأصبهاني، للحسين بن محمد بن المفضل أبو قاسم: "المفردات في غريب القرآن"، دار العلم الدار الشامية،دمشق ـ بيروت1412 هـ، تحقيق : صفوان عدنان داودى

25. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد: " بداية المجتهد و نهاية المقتصد"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة : الرابعة، 1395هـ/1975م

26. رضا، محمد رشيد بن علي "تفسير النار"، (11/2) الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر : 1990 م

27. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق "تاج العروس من جواهر القاموس"، الناشر : دار الهداية،

28. الزركلي، خير الدين: "الأعلام" ،الناشر : دار العلم للملايين،الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م،

29. الزرقاني ، محمد عبد العظيم :"مناهل العرفان في علوم القرآن"، ط 3، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

30. أ- الزركشي: محمد بن عبدالله بن بهادر(1421هـ - 2000) "البحر المحيط في أصول الفقه", ط1، تحقيق محمد محمد تامر, دار الكتب العلمية, بيروت,

ب -الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر" البرهان في علوم القرآن" لمحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة : الأولى ، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

31. السايس، محمد علي" تفسير آيات الأحكام"، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر تاريخ النشر2002

32. السبكي ، علي بن عبد الكافي : "الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي"، الناشر : دار الكتب،العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، 1404،

33. أ- السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين أبو الفضل ،"الإتقان في علوم القرآن"ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م

ب -السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين أبو الفضل " لباب النقول في أسباب النزول "، دار الهجرة، دار النمير، بيروت الطبعة الأولى,1410هـ/1990م.

ج -السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين أبو الفضل:" معترك الأقران"، دار الكتب العلمية للنشر1988م

34. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني :"أضواء البيان في إيضاح القرآن" بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: 1415 هـ - 1995 م

35. شهاب الدين، أبي الفضل أحمد بن علي، "العجاب في بيان الأسباب" الناشر : دار إبن الجوزي - الدمام ، الطبعة الأولى ، 1997، تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس

36. شهاب الدين، الخفاجي أحمد بن محمد بن عمر: " حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي"(المُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِىعَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، دار النشر : دار صادر - بيروت(ج290/3)، وانظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن

37. أبو شهبة، محمد بن محمد:" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، الناشر : مكتبة السنة الطبعة الرابعة

38. الشوكاني، محمد بن علي: " التحف في مذاهب السلف"، الناشر : دار الهجرة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1408 – 1988

39. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير "جامع البيان في تأويل القرآن " تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى,142:هـ/2000م.

40. أ- عباس: فضل حسن، "إتقان البرهان في علوم القرآن" دار الفرقان, عمان الطبعة الأولى 1997م

ب -عباس ، فضل : "البلاغة فنونها وأفنانها- علم البيان والبديع"، دار الفرقان، عمان، ط 4، 1417هـ- 1997م

ت -عباس: فضل حسن، "التفسير أساسياته واتجاهاته"، مكتبة دنديس، عمان 1426هـ/2005م

41. ابن عبد الكريم الموصلي، أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد: " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ، الناشر : المكتبة العصرية - بيروت ، 1995، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

42. العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد أحمد بن حجر، "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، تحقيق عبد الله الرحيلي، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الأولى

43. ابن عماد، شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي" شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ط1، دار الفكر 1399هـ

44. عمر رضا كحالة "معجم المؤلفين"، ، الناشر : مكتبة المثنى - بيروت , دار إحياء التراث العربي

45. الغلاييني، مصطفى" جامع الدروس العربية"، المكتبة العصرية: بيروت- صيدا، ط25، 1412هـ -1991م

46. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا "معجم مقاييس اللغة" ، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : 1399هـ - 1979م.،

47. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين :"الجامع لأحكام القرآن "= "تفسير القرطبي" ،ط2 ،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ، 1384هـ - 1964 م

48. القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر :"الإيضاح في علوم البلاغة" ، الناشر:دار إحياء العلوم – بيروت،(

49. القطان، مناع:" مباحث في علوم القرآن "، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة : الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م

50. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق : سامي بن محمد سلامة،الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م

51. كنعان، محمد أحمد"(1984)قرة العينين على تفسير الجلالين"ط 1، المكتب الإسلامي- بيروت

52. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: "سنن ابن ماجه"، دار الفكر – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

53. مالك، بن أنس أبو عبدالله الأصبحي"الموطأ"، الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

54. أ- المدرس، عبد الكريم : "جواهر الكلام في عقايد أهل الإسلام"،دار الحرية للطباعة بغداد 1414هـ 1993م

ب -المدرس، عبد الكريم: "صفوة اللآلي من مستصفى الإمام الغزالي" (في أصول الفقه) ،مطبعة العاني ببغداد- 1986م

ج- المدرس، عبد الكريم "علماؤنا في خدمة العلم والدين"، دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ الطبعة الأولى:1403هـ ـ 1983م،(324/1)
د-المدرس "مواهب الرحمان في تفسير القرآن"، ط 1، دار الحرية للطباعة – بغداد 1406هـ - 1986م
55 . مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري"صحيح مسلم" دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت
55. ابن المنذر، أبو بكر محمد النيسابوري" تفسير القرآن- تفسير ابن المنذر"، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد،النشر : دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة : الأولى 1423 هـ ، 200 م،
56. ابن منظور، لمحمد بن مكرم: " لسان العرب " ، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى
57. النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن "السنن الكبرى" تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ، 1411هـــ / 1991م.
59.النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم :"المستدرك على الصحيحين" الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، 1411 – 1990،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
60. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري, "أسباب النزول", تحقيق طارق الطنطاوي, مكتبة القرآن/ القاهرة

المواقع الإلكترونية

الموقع الإلكتروني: http://www.ra7maa.com/vb/showthread.php?t=9778

موقع: http://www.alturkmani.com/makalaat/mindafater3.htm .

موقع: http://www.alturkmani.com/makalaat/mindafater3.htm .

موقع:http://ar.wikipedia.org

موقع : ملتقى أهل الحديث > منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين

موقع: http://www.ahlalhdeeth.com

موقع: http://www.ahlalhdeeth.com،

http://www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid

موقع:http://www.basaernews.com/news.php?id=1092

Sheikh Abdul KarimAlmadres and his approach in the interpretation of Rahmangifts in the interpretation of the Koran

By : Ahmed Ben AbdRahmane

Supervised by: Prof. Ahmed Fareed Abu Hzim

This study deals with the approach of Sheikh Abdul KarimAlmadres in his interpretation named(Rahman'sgiftsin the interpretation ofthe Quran), he is a contemporaryIraqi interpreter , leaving to us an interpretation with a simplified explanation of the phrase, and away from the baroque and complex. and the interpretationis printed, and is composed of sevenvolumes,and the studywas according to methodologyand researchassetsknown inthe field ofscientific research, where it adoptedbytheinductive approachandthe descriptive andanalytical and criticalapproach.This studycameto study inseven chaptersand a conclusion, in the first chapter, the researcherdefinitionSheikhAlmadreswholived betweenthe period(1904 - 2005AD), and subjected to his personal life, scientific, andhis writings andelderly, the most important positionsheld,as a teacherand an imamand preacher and Mufti.

In the second chapter was a researcher for the definition of interpretation, and the way they pursued it, and the most important sources, which adopted it, while in the third chapter, the researcher, clarify the way of Sheikh in interpretation by Mathur, and interpretation by opinion, and his position on Israeli , and in the fourth chapter, the researcher expose the issues Quranic sciences, as reasons of godown

and Mecci and Madani, and his opinions in cases of different miracles of the Qur'an , and in Chapter five, the researcher showed in this study care of Almadresabout science of Arab language and about the exchange and eloquent pieces of poetry, and in Chapter six the researcher viewed the Almadres'sopinion on different matters of faith from the names and attributes, issues of fate and much, The acts of the people and the will and the equator, vision and others.

As the researcher in Chapter seven which is the last one, the Almadres'stheological issues both on the side of transactions or worships.

At theend of the studywas theconclusion, andwhichsum up thefindingsand ideas, andwas the most importantattempt to define thescholars andresearcherscharismaticof SheikAbdul KarimAlmadres, andshedlight on hisinterpretation, the statement of his approach, and highlight hisscientific value, an opportunity to demonstrate theextentand status oftheinterpreter.

Askingthe God Almightythathasto grant success to me andhelped meand paidmy fault, he is best to protect andadvocate.